جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

الفروق الدلالية

عند الإمام أبي زهرة

في تفسير

زهرة التفاسير

دكتور

الغزالي محمد حامد حسين

كلية اللغة العربية جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .... وبعد

من الظواهر اللغوية التي لاحظت اهتمام الإمام أبي زهرة (رحمه الله) تعالى بها في تفسير زهرة التفاسير[1] (الفروق الدلالية) بين الألفاظ التي تقاربت معانيها وخفي ما بينها من فروق أو تنوسي حتى صارت تستعمل مترادفة، وكان هذا الاهتمام في مواضع غير قليلة، جمع البحث ما يزيد على ستين موضعا...

وكان دافعه لهذا الاهتمام دينيا على ما سيأتي بيانه في الفصل الأول.

أما دافعي فكان أولا: إبراز فكر الإمام أبي زهرة (رحمه الله) تعالى ورؤيته لبعض القضايا اللغوية ومنها الفروق الدلالية، من خلال عرض ما جمعه البحث واستنبطه مما تناثر في تفسيره. **ثانيا**: إن موضوع الفروق الدّلاليّة بيْن الألفاظ... يستمِدّ أهميته، ـ أو خطورته ـ من أمور أرى من أهمها ـ هنا ـ: تعلقه بكلام المولى (عز وجل)..، فضلا عن تأثر بعض الأحكام الفقهية به وتباينها تبعا له، ـ كما سيأتي في الفصل الأول ـ. **ثالثا**: الدّوْر المُهم الذي يقوم به

(١) في بحث سابق ذكرت نبذة عن الإمام أبي زهرة ـ (رحمه الله) ـ ت ١٩٧٤هـ .. وأهم مصادره اللغوية التي اعتمد عليها في تفسيره زهرة التفاسير، وأهم الملامح المنهجية عنده . يراجع (السياق و توظيفه في توجيه التفسير و الترجيح اللغوي في ضوء النظرية السياقية عند الإمام أبي زهرة في تفسير زهرة التفاسير) حولية كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد/ ٢٩ جـ/ ٣ ١٤٣١.هـ ٢٠١٠م

بيان الفرق الدلالي في خدمة التقريب لمعنى النص القرآني الكريم، وهذا مِمّا استنبطه البحث من كلام أبي زهرة ـ كما سيأتي في الفصل الأول ـ.

والقول بـ **الفروق الدّلالية** بيْن الألفاظ ـ التي ظاهرها الترادف[١] أو التقارب في المعنى ـ هو قوْل اللغويّين المهتمين بتأصيل المواد اللغوية و اشتقاقاتها، وهذا يقوم على النظر إلى أصل الوضع، أو النظرة التاريخية إلى دلالة الألفاظ، وهذا يَعْنِي الاعْتداد بالدّلالة الأصْليّة للفظ، دون ما آلت إليْه بالتطوّر الدّلالي في الاسْتعمال، ومن المحدثين من أكد على أن أغلب المترادفات الأصل فيها التباين، ثم ترادفت بسبب التطور الدلالي لا الوضع... وأنّ ادّعاءَ الترادف الوضعي في الكثير من الألفاظ أمْرٌ يدْحضه البحثُ اللغوي التأريخي[٢].

والذين بالغوا في الترادف[٣] لمْ ينظروا إلى تعدّد عِلل التسْمية للشيءِ الواحد، أو الأصول التاريخيّة لدلالات الألفاظ، واعتدوا ما آلت إليْه دلالات هذه الألفاظ، التي طرأت نتيجة التطوّر في الاسْتعمال.

وقد جاءت الفروقُ الدّلالية في تفسير {زهرة التفاسير} وفق مستويات لغوية مختلفة و باعتباراتٍ مُتعدّدة، أقمتُ عليها خمسة فصول بعد هذه المقدمة، تناولت في **الفصل**

(١) الألفاظ المترادفة هي: " الألفاظ المُفردة الدّالة على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ " ..المزهر١/ ٤٠٢، و التعريفات للجرجاني / ٧٧-٧٨.

(٢) يراجع الترادف في اللغة لـ حاكم مالك لعيبي/ ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٠.

(٣) ممن بالغ في قبول الظاهرة وأفرد لها مؤلفا، الفيروز آبادي وله (الروْض المسْلوف فيما له اسْمان إلى ألوف)وقد أشار إليه في كتابه الغرر المُثلثة و الدرر المُبثة / ٣٢٦، و ذكره السيوطي في المزهر ١/ ٤٠٧ .

الأول: الترادف و الفروق عند أبي زهرة وصور الاستعمال اللغوي، و أهم بواعث اهتمامه بالفروق الدلالية، و أهم مصادره في الفروق الدلالية. وفي **الفصل الثاني**: جمعت فيه كل لفظين..اختلفا في حركة واحدة (صائت قصير) وكان بينهما فرق دلالي..فكانت الألفاظ التي بين الضم و الكسر ثم الألفاظ التي بين الضم والفتح، ثم التي بين الكسر والفتح. والفصل الثالث: وفيه الألفاظ التي جاء الفرق الدلالي بينها لاختلاف الصيغة الصرفية، واشتمل على أولا: المصدر ، ثانيا: الفعل. ثم **الفصل الرابع**: وفيه التضمين، ومخالفة النسق الإعرابي و أثره في اختلاف الدلالة. ثم **الفصل الخامس**: جمعت فيه الألفاظ التي كان الفرق بينها باعتبارات مختلفة..فكان الفرق بالعموم و الخصوص، و باختلاف وصف كل منهما، وباختلاف جهة الاشتقاق، و باختلاف ملحظ التسمية أو التأصيل...إلخ، ثم فروق دلالية بين الفواصل القرآنية، ثم من نقده اللغوي. وأتبعت ذلك بخاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث...

وصلّ اللهمّ وسلم وبارك على سيّدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

دكتور
الغزالي محمد حامد حسين

الفصل الأول

الترادف و الفروق عند أبي زهرة

في حال تناسي الفروق الدلاليّة أو خفائها نلاحظ أنّ الترادفَ موجودٌ عنده[١].

لكن عند التدْقيق وفي مواطِنِ الكلامِ البليغِ ـ وليْس أبلغ مِن كلام المَوْلى (ﷻ) فلا بُدّ مِن وجودَ الفروق الدّلاليّة وإنْ خفِيَتْ عليْنا، **يقول الإمامُ أبو زهرة**: "...ومَهما يَكنْ فإنّ (التَّهْلُكة) إذا كانتْ بمَعنى (الهلاك) في المالِ، **فلا بُدّ أنْ يكونَ ثمّة فرقٌ دقيقٌ** اقتضى العدول من لفظِ الهلاكِ إلى لفظِ (التَّهْلُكة)، كما هو الشأنُ في التخيّر مِن الألفاظِ المترادفة في الكلام البليغ.."[٢] **وفي موضعٍ آخر يقول**: "وهناك كلماتٌ ثلاث تتلاقى معانيها في جُملتِها، وتختلِف في دقتها "[٣]ـ عند تفريقه بين (الحَمْد و المَدْح و الشُّكْر) كما سيأتي ـ

والقوْل بالفروق الدّلاليّة و بعدم التطابق الكامل بيْن الألفاظ المُترادِفة هو ما ذهبَ إليْه أغلبُ المُحْدثين.[٤] و لمّا كانت التفرقة الدّلالية بيْن الألفاظِ ـ كما سبق ـ تقوم على النظرِ إلى أصْلِ الوضع، فإننا لمْ نعْدمْ هذا الاهتمام مِن الإمام أبي زهرة بالتأصيلِ

---

(١) ينظر مثلا قوله: "وقد قالوا: إن النزغ والنغز والهمز والوسوسة بمعنى واحد" زهرة التفاسير/ ٣٠٤٤ .

(٢) زهرة التفاسير/ ٥٩٤، و سيأتي النص كاملا في الفروق الدلالية لاختلاف الصيغ الصرفية.

(٣) السابق / ٥٥.

(٤) قديما اعترف فريق من أئمة اللغة بالترادف، واشتهر عن آخرين الإنكار، ومن الفريق الأول: الإمام سيبويه ت ١٨٠هـ الكتاب ١/ ٢٤، و قطرب (ت٢٠٦هـ) .كتابه كتاب الأزمنة و تلبية الجاهلية تح د/ جميل حنا / ، و قارن بـ المزهر ١/ ٤٠٠، و الأصمعي (ت ٢١٦هـ) له مؤلف بعنوان (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) مطبوع ومحقق.، وابن خالويه (ت٣٧٠هـ) المزهر ١/ ٤٠٥، وغيرهم . =

=**ومن الفريق الثاني: ابن** الأعرابي ـ ت٢٣١هـ ـ القائل: " كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله " المزهر ١/ ٣٩٩، و أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) . المزهر ١/ ٤٠٥، وقارن بـ فصول في فقه العربية/ ٣١١، علم اللغة بين القديم و الحديث د/ هلال / ٣٠١، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) الصاحبي ١١٥ـ١١٦، وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) الفروق اللغوية / ١٢ .

ومن الجدير بالذكر أن مِمّن عُرف عنهم إنكار الترادف قد ورد لهم ما يفيد الاعتراف بوجوده، ومنهم: ابن الأعرابي والفارسي، وابن فارس، و أبو هلال ـ راجع رسالتنا لنيل درجة الماجستير(الفكر الصوتي والدلالي عند ابن الشجري في ضوء علم اللغة الحديث) ٣٠٦ـ٣٠٧.

ولا تناقض، فالفارسي ـ مثلا ـ لم ينكر الترادف على إطلاقه وإنما إنكاره أن تكون الصفات أسماءً..السابق نفسه

أما المحدثون فقد فرّقوا بيْن أشباه الترادف ـ حين يتقارب اللفظان تقاربا شديدا لدرجة يصعب معها بالنسبة لغير المتخصصين التفريق بينهما ـ وهذا لا خلاف على وجوده عندهم...، وبين الترادف الكامل فأغلبية اللغويين على إنكاره..، و قلة منهم تسمح بوجوده مع تضييق شديد، أو مع شيءٍ من التجوّز أو بشروط خاصة . يراجع علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر/ ٢٢٠، وما بعدها ويذكر د محمود فهمي حجازي أنه في ظل مبدأ نسبية الدلالة لا يمكن أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقا كاملا، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات لا أكثر و لا أقل فالألفاظ المترادفة هي بهذا المعنى الألفاظ ذات الدلالات المتقاربة. علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة / ٩٧ـ٩٨

وحقيقة الأمر إن الترادف بمعنى التطابق التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظين في جميع السياقات، دون أن يوجد فرق بين اللفظين في ....اللغة الواحدة، و في مستوى لغوي واحد، و خلال فترة زمنية واحدة، وبين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة هذا الترادف غير موجود، أما إذا أردنا بالترادف التطابق في المعنى الأساسي دون سائر المعاني، أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين في بعض السياقات أو نظرنا إلى اللفظين في لغتين مختلفتين أو في أكثر من فترة زمنية واحدة، أو أكثر من بيئة لغوية =

اللغويّ.[1]

من العبارات التى لاحظ البحث ترددها في زهرة التفاسير وخُصَّت بالاستعمال اللغوي هذه الصور:

ـ **الأولى**: أصْلُ الاسْتِعمال، ومِن ذلك قوله: "...هذا هو الأصْلُ في اسْتعمال كلمة (مَيْسِر) و قد أطلقت على كلِّ قمار..."[2].

أما **الثانية** فهي: معنى الاستعمال الدّقيق وهي مَبْنِيّةٌ على بَيان الأصْل اللغويّ.

و الثالثة: مَوْضع الاسْتعمال، وقد جَمَعهما في تفسير قوله تعالى: "﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ

=واحدة فالترادف موجود .. يراجع علم الدلالة/ ٢٣٠ و ما قبلها، ولمعرفة الشروط اللغوية التي وضعت عند المحدثين حتى يمكن القول بالترادف في الألفاظ ينظر في اللهجات العربية / / ١٦٦-١٦٧، وفصول في فقه العربية / ٢٨٤-٢٨٥

وأرى أن أصحاب الرأي الثاني من القدماء الذين ضيقوا أو قالوا بالفروق ... سبقوا أغلبَ المحدثين فيما قرّرُوه من أن التطابق التام ... غير موجود...لاسيما إن كان الأمر يتعلق بكلام المولى (ﷻ) المتصف بطلاقة القدرة المنزه عن النقص، فكلامه (ﷻ) هو الكلام المعجز....

(١) ومن ذلك مثلا قوله:"وأصل كظم من كظم السقاء إذا ملأه وسد فاه .." زهرة التفاسير/ ١٤١٣.

(٢) " أما المَيسر فهو قمار العرَب، و يطلق على كل قمار اسم المَيسر، فكلُّ ما يتخاطر فيه الناس من معاملة فيها خطر الكسْب المُطلق أو الخسارة المطلقة يعد ميسرا أو قمارا . و أصْل اشتقاق كلمة ميْسر- إمّا مِن اليَسر بمعنى السهولة ؛ لأنّ المال يجيء للكاسب عفوا من غير جهد، و إمّا مِن يَسَر- بمعنى وجب ؛ لأن اللاعب إذا آل إليه الكسْب يصير واجبا، و إمّا مِن يَسَر، بمعنى جزأ، و قد اختار ذلك الأزهري .. هذا هو الأصْل في اسْتعمال كلمة ميسر، و قد أطلقت على كل قمار ..."زهرة التفاسير / ٧٠٧.

مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ [البقرة / ١٩٦] مادة (الحَصْر) في اللغة: تدل على التضييق، ومن ذلك قوله تعالى في شأن القتال: (وَاحْصرُوهُمْ) أي ضيِّقوا عليْهم؛ ولِذلك أطلقتْ على الحَبْس. وقال سبحانه: ﴿..وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء/ ٨] هذا موضع اتفاقٍ بين علماءِ اللغة، ولكن الخلاف بينهم فى الفرق بين الإحصار، والحصر؛ فقد قال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهم من علماء اللغة: الإحْصار المَنع بالمرض أو ذهاب النفقة، أي ما يكون الحبْس فيه من ذات الشخص لا مِن أمْرٍ خارجٍ عنه، والحَصْرُ هو حَصْر العدوّ...

وقال الرّاغب الأصْفهاني: إن الإحْصار أعمُّ من الحصْر، فهو يُسْتعْمَلُ للحَبْس بالعدوِّ وبالمرض ونحوه، وأمّا الحَصْرُ فيُسْتعمل في المنع من ذات الشخص بالمرض ونحوه فقط. ولقد قال أبو العباس المبرّدُ والزّجاجُ: إنّ كليْهما يكون لِلحَبْس بعمل العدوِّ، وبالمرض ونحوه؛ ولكنهما مع ذلك مُختلفان في المعنى، فالحَصْرُ معناه: الحبْسُ، والإحْصار معناهُ: التعرّض للحَبْس والضّيق، بالعدُوّ أو المرض، كما يقال حبسه بمعنى: أدخله في المَحْبس، وأحْبسَه بمعنى عَرّضه للحَبْس... وعندي أنّ هذا هو الفرْق الدّقيق الذي يكون بيْن الحَصْر والإحْصار، فالفرْقُ بيْنهما فى معنى الاسْتعمال الدّقيق، لا فى موْضع الاسْتعمال."[1]

في هذا النصّ تفرقة بيْن (معْنى الاستعمال الدّقيق) وبيْن (موْضع الاسْتعمال) ونلاحظ أنّ الإمام أبا زهْرة صدَّرَ هذا النصّ بتأصيلِ مَعْنى (حصَر)، مُسْتدلا بنصوصٍ قرآنيّة، ثمّ فرّقَ بيْن: (موضع الاستعمال)، وهو هنا لا فرق فيه بيْن(الحَصْر و الإحْصار)،

(١) زهرة التفاسير/ ٦٠٣ـ ٦٠٤ وسيأتي هذا النص في الفصل الثالث .

فكلاهما ـ في أيّ موْضع ـ من تركيب (حَصر)، الذي يدلّ على التضييق و الحَبْس، و بيْن: (معْنى الاسْتعْمال الدّقيق) الذي فيه يظهر الفرق الدلالي الدقيق.

ثم تأتي الصورة الرابعة للاسْتعمال اللغويّ، وفيها يتضح ما آلت إليْه الكلمة في الاسْتعمال بسبب التطوّر الدّلالي، ومن ذلك قوله : "... وأصْلُ الزَّلَل يكون في القَدَم، ثمّ اسْتُعْمِل فى الآراء والمسالك المعنويّة".(١)

و يرْبط بين أصْل الاسْتعمال، وبيْن ما آلتْ إليه الكلمة بعْد التطوّر...، يقول مثلا: "العُمْرة في الأصْل اللغويّ تتلاقى معَ مادّة العمارة، التي هي ضِدُّ الخراب، ويُراد بالعمرة في اللغة: الزيارة و القصْدُ، هذا هو الأصْلُ اللغويّ...وقد صارتْ الكلمتان من الألفاظ الإسلامية التي خصّها الشرْعُ بمكان تتصل بأصْل معناها اللغوي فالحجُّ أصْلُ معناه ـ كما رَأيْتِ ـ قصْد المكان للزيارة فصارَ في المعنى الإسْلاميّ يُطلق على قصْد بيْت الله الحرام"(٢).

وقال : " أصْل المَتاع: الامْتِداد في الارْتفاع...، ثم انتقل إلى الانتفاع المُمْتدّ، ثم إلى الشّيْء المُنتَفع به..، ثم أطلق على كلِّ ما يُنْتفعُ به، و مِنه المُتْعة في الزّواج"(٣).

من أهم بواعث اهتمامه بالفروق الدلاليّة

أولا: ارتباط الأحكام الفقهية بدلالة الألفاظ واختلاف بعضها تبعا لاختلاف الدلالة. قدْ يُبْنى الاختلافَ في الحكم الفقهيّ على الاختلافِ الدّلالي للفظ، يقولُ: "...وقد فصّلنا القول ـ في الفرْق بيْن (الحَصْر و الإحْصار) ـ ذلك التفصيل في هذا اللفظ...؛ لأنّ الفقهاءَ اختلفوا في الحُكْم، وبنوا اختلافهَم على اختلافِ اللغويّين فى مَعنى

(١) السابق/ ٦٥٤.

(٢) السابق/ ٥٩٩ـ٦٠٠.

(٣) السابق/ ٨٢٩.

اللفظ، فالحنفيّة قرّرُوا أنّ الإحْصارَ بالمَرَضِ أو بالعدو يُسيغ التحلل بذبح الهدي، على أن يقضي الحج والعمرة من بعد إن كان الإحرام بعُمرة، والمالكية والشافعية قرّروا أن الإحصار في الآية لا يكون إلا من العدوِّ، أمّا المريضُ فإنه يستمرّ على إحْرامه حتى يبرأ من مرضه، ويذهب إلى البيْت فيطوف به سَبْعا، ويسْعى بيْن الصّفا والمَرْوة، وبهذا يتحلل من عُمرتِه أو حَجّهِ...."[1].

و قال الإمام أبو زهْرة: " وقد فرّقوا بيْن المُختلِس و السّارق[2] فقالوا: إنّ السارقَ يكونُ مُختفِيا غيرَ مَعْلوم للمَسْروق منه، أمّا المُختلسُ فإنه لا يكون مُختفيا، بل يكون ظاهرا ولكن يأخذ في غفلة من صاحبِ المالِ، و الجُمهور على أنّ الاختلاسَ لا يُعدُّ من السرقة فلا تقطع فيه اليد، و لقد خالف الجمهور إياس بن معاوية القاضي[3] وأوجب القطع على اعتبار أن فيه نوعا من الاستخفاء، وإن كان في العمل، و لم يكن في الشخص، وأن لذلك الرأي وجاهته من ناحية العمل، ومن ناحية المعنى".[4]

---

(١) السابق/ ٦٠٤.

(٢) من قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣٨].

(٣) هو: إياس بن معاوية بن قرة المزني، ولد سنة ٤٦ هجرية قاضي البصرة، يضرب المثل بذكائه ...قال الجاحظ: إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة، كان صادق الحدس، نقابا، عجيب الفراسة، ملهما وجيها عند الخلفاء. وللمدائني كتاب سماه (زكن إياس). توفي بواسط سنة ١٢٢ هـ . يراجع أخبار القضاة لأبي بكر مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ، الْمُلَقَّب بِـ"وَكِيع" ١/ ٣١٢،ط المكتبة التجارية، و سير أعلام انبلاء ٥/ ١٥٥، الأعلام للزركلي ٢/ ٣٣، كتاب الطبقات لأبي عمرو خليفة بن خياط/ ٣٦٤،ط الفكر.

(٤) زهرة التفاسير/ ٢١٦٩.

وقال في: " قوله تعالى في القراءة المَشهُورَة ﴿يَطْهُرْن﴾[1]: يكون معناها انقطاع الدَّمِ؛ لأنه إذا كان سبب الأذى هو الدَّمُ، فانقطاعُه طهورٌ مِنه، فهو وصْفٌ وحالٌ قائمة بالمرأة تثبتُ عندَ انقطاع الدّم لِزوال سبب النجاسة. وأمّا قراءة: ﴿يَطّهّرْن﴾[2] فمعناها يغتسلن؛ لأن التطهّرَ غير الطُّهور، إذ هو فعلٌ من المرأة نفسِها منسوبٌ حدوثه إليها؛ فهى التي تنشِئهُ لا أنه حالُ طهر يعود بعد زوال سبب النجاسة المؤقتة.هذا تفسير بعض العلماء، وبه أخذ الحنفية. وقال آخرون وعلى رأسهم شيْخ المُفسّرين ابن جرير الطبري: إن القراءتين في معناهما واحد، وهو التطهّر، فلا تُعدُّ طاهرة إلا بالاغتسال، وهذا ما سلكه جمهور الفقهاء غير الحنفية، و قد انبنى على ذلك الخلاف فى التفسير خلافٌ فقهىٌّ؛ فالحنفية قالوا: إنه بمجرد انقطاع الدم إذا كان الانقطاع لأقصى مدة الحيض وهو عشرة أيام تحلُّ المباشرة، ولو قبل الاغتسال أخذا بالقراءة المشهورة وهى قراءة ﴿يطْهُرن﴾ لتأكد زوال الدَّم، وبه الطهارة، وإنْ كان الانقطاعُ لأقلّ من عشرة أيّام فلابُدّ من تأكّد زوال الدّم بعملٍ آخر من جانبها وهو الاغتسال الفعليِّ، وبذلك تنطبق قراءة ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾؛ فالحَنفِيّة قدْ اعْمَلوا القراءتين في نظرهم.وغيرهم لم يفرق بين القراءتين في المعني وفسّرهما بمعنى الاغتسال فلا تحل قبله مطلقا، فالطهر حقيقة فيه، وغيره مجاز، ولا قرينة تدلُّ على إرادة المعنى المجازى، فلا يعدل عن الحقيقة؛ وفوق ذلك فإنّ إباحة المُباشرة صرح فيها بأن ذلك

---

(١) ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة/ ٢٢٢].

(٢) " واختلفوا" في ﴿حتى يطهرن﴾ فقرأ حمزة و الكسائي وخلف وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء والباقون بتخفيفهما" النشر ٢/ ٢٢٧

متصل بالتطهر، لا بالطهور، فقد قال (ﷻ): ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢]"[١]. وهذا الاختلاف ذكره الزمخشري[٢] و أبو حيان[٣] و غيرهما. ومثل ذلك : الاختلاف في الفرْق بين(الفقِير و المِسْكِين) عند الفقهاء و علماء اللغة[٤] ثانيا: فضلا عن الدَّوْر المُهم الذي يقوم به بيَانُ الفرق الدلالي.. في خِدْمة التقريب لمعنى النصِّ القرآني السامي؛يقول الإمام : "...وهنا مباحث لفظية في بيانها تقريبٌ لمعنى النصِّ السّامي، أوّلُ هذه المباحث ـ التفرقة بين الهُزء و اللعب...".[٥]

من أهمِّ مظاهر اهتمامه بالفروق الدّلاليةـ تنبيهه في المقدّمة على أمور ثلاثة تعدّ من ملامح منهجه في التفسير..الثاني منها: ـ أنه لا يذكر من القراءات المختلفة إلا إذا ترتّب

(١) زهرة التفاسير/ ٧٣٢ـ٧٣٣.

(٢) قال الزمخشري:"وقرئ ﴿يطهَّرْن﴾ بالتشديد أي يتطهرن، بدليل قوله فَإِذا طَّهَّرْنَ وقرأ عبد اللهَّ:حتى يتطهرن. ويطهُرْن بالتخفيف.والتطهر: الاغتسال. والطهر: انقطاع دم الحيض. وكلتا القراءتين مما يجب العمل به، فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل، وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة. وذهب الشافعي إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتطهر، فتجمع بين الأمرين، وهو قول واضح. ويعضده قوله: ﴿فَإِذا طَّهَّرْنَ﴾"الكشاف ١/ ٢٦٥.

(٣) وذكر أن يطهُرن مضارع طهُر ويَطَّهّرْن أصلها يتطهرن.. البحر المحيط ٢/ ١٧٨.

(٤) ينظر زهرة التفاسير/ ٣٣٤٤ و الفصل الخامس من هذا البحث.

(٥) ينظر زهرة التفاسير / ٢٢٥٩ و الفصل الخامس من هذا البحث.

على اختلافها اختلاف في المعاني، فيذكرها كلها، على أنها كلها قرآن و أنّ هذه المعاني كلها مقصودة في القرآن السّامي، و دليل إعْجازه.[١]

من أهمّ مصادره في الفروق الدلالية

أبو عمرو بن العلاء[٢] (ت ١٥٤هـ)، والكسائي (ت١٨٩هـ)، و أبوعبيدة (ت ٢١٠هـ)[٣]، والمبرّد[٤](ت٢٨٥هـ)، الطبري[٥] (ت٣١٠هـ)، والزجاج (ت٣١١هـ)[٦]، والرّاغب الأصفهاني[٧] (ت ٥٠٢هـ)، والإمام الزمخشري[٨] (ت٥٣٨هـ)، و فخر الدّين

(١) يقول: " و إنه يجب أن ننبه إلى أمور ثلاثة: أولها: أننا لا نتجه إلى الأغاريب إلا إذا اضطررنا لتوجيه المعاني و تقريب الناس من إدراكها، و إن ذلك نادر، وليس بالكثير . ... ثالثها: أننا في بعض المواضع نأتي بالكلام مطنبا، و ذلك لنقرب الناس من معاني القرآن التي تكون موجزة في ألفاظها ثرية في معانيها، فنحاول أن نقرب الناس من هذه المعاني ... زهرة / ١٩.

(٢) في الفرق بين (السِّلْم و السَّلْم). السابق/ ٦٥٠.

(٣) في الفرق بين (الحصر و الإحصار). السابق ٦٠٣.

(٤) في الفرق بين (الحصر و الإحصار). السابق نفسه.

(٥) نقله عنه تحقيق الأصل اللغوي لـ(الأجل)، وعدم تفريقه بين (يطّهّرن و يطْهُرْن).

(٦) في الفرق بين(الحصر و الإحصار).

(٧) نقله عنه في الفرق بين:(الحصر- و الإحصار)، وبين: (الدّرج و الدّرك) والفرق بين: (القُرح و القَرح)، والفرْق بين (المرية و الشك) مصر-حا باسمه، وفي الفرق بين:(الجسم و الجسد)، وفي تفسير: (الولاية)/ ٩٥١.

(٨) من ذلك نقله عن الزمخشري صراحة في الفرق بين (العَوج بالفتح والعِوج بالكسر-)،و بين (الوسع و الطاقة)،و بين (كسب واكتسب)، وفي تعدية الفعل باللام وبـ(في) في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء...﴾ الآية،وفي التعدية بـ على و بـ اللام في ﴿أذلة على المؤمنين﴾، و رأيه في الفرق بين (العمل و الصنع).

الرّازي[1] (ت٦٠٤هـ)، و المفسرون بصفة عامة.[2] إلا أنه أكثرمن النقل عن الزمخشري و الراغب في هذا الدرس ـ مع التصريح بكتابيهما الكشاف و المفردات.

سبق الإشارة إلى أنّ الذين اهتمُّوا بـ (مسْألة الفروق) رجعوا بالألفاظ إلى أصولها القديمة، وكان اهتمامُهُمْ بالتأصيل بصفةٍ عامة مُلاحظا...؛ لبيان الانحراف الدّلالي من ناحيةٍ، ثم توظيفه في إحياءِ الفروقِ الدلاليةِ الدقيقةِ بين الألفاظِ من ناحيةٍ أخرى

و الاهتمام بـ الفروق الدلالية والتأليف فيها كان متأخرا في اللغة[3]؛ لِما ظهر من استعمال الناس ألفاظا كثيرة بمعنى ومن ناحية أخرى ما ظهر من احتفاء بعض العلماء بالترادف والتأليف فيه..

أسس التفريق بين الألفاظ دلاليا.. عند الإمام أبي زهرة أمكن تخليصها وتلخيصها في الفصول التالية:

(١) نقله عنه وتصريحه باسم كتابه في الفرق بين (العمل والصنع)، و بين (الفقير والمسكين)، و بين (الخروج والهجرة).

(٢) في الفرق بين: (الظلم و الهضم).

(٣) أشار إلى نحو ذلك في الفرق بين: (الخروج / الهجرة).

الفصل الثاني

اختلاف دلالة اللفظين لاختلافهما في صوت صائت[1]

بين الضم والكسر سُخْريّا / سِخْريّا

قال الإمام أبوزهرة في قوله تعالى: "﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون/ ١١٠]... قُريء بضمِّ السِّين، وقريء بكسْرها، وفرّق بعضُ اللغويّين بأنّ القراءة بالضمّ مَعْناها التسْخِير، وبالكسْر معناها الاستهزاء، ولا يعرف هذه التفرقة الخليل بن أحمد ولا سيبويه ولا الكسائي ولا الفراء[2]، بل هما لغتان بمعنى واحد، ولقد كان المشركون يسْخرون من الذين آمنوا، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾، أيْ أنّ هذه السّخرية جَعَلتهم لا يلتفتون إلى معاني الذكر الحكيم، ولا

(١) قديما ذكر سيبويه أنه " قد يكون الاسمان مشتقين من شيءٍ والمعنى فيهما واحد، و بناؤهما مختلف، فيكون أحد البناءين مختصا به شيءٌ دون شيء ليفرق بينهما وأن هذا أكثر من أن يصفه في كلام العرب، نحو: بناء حصين و امرأة حصان فإنما أرادوا أن يخبروا أن البناء مُحْرز لَمن يلجأ إليه، والمرأة مُحْرزة لفرْجها. الكتاب ٢/ ١٠٢ وقد عد أبو هلال العسكري اختلاف الصيغة من الاعتبارات التي يفرق بها بين المعاني و مثل لذلك بـ (الضَّعف) و الضُّعف) / و (الجَهْد) و (الجُهْد) ينظر الفروق / ٢٧.

(٢) قال الفراء:" وقد قرىء بهما جميعا. والضمّ أجود. قال الذين كسروا ما كان من السّخرة فهو مرفوع، وما كان من الهزؤ فهو مكسور و قال الكسائي: سمعت العرب تقول: بحر لجّى ولجّى، ودريّ ودريّ منسوب إلى الدِّ، والكرسيّ والكرسيّ. وهو كثير. وهو فى مذهبه بمنزلة قولهم العصيّ والعصيّ والأسوة والإسوة.". معاني القرآن للفراء٢/ ٢٤٣.

يتدَبّرُون آياته، ولا يعتبرون بعِبره، وإنه بسبب هذا كله ينسَوْن ذكرَ اللهِ تعالى فلا تمتليء قلوبهم به، ولا يَخشوْنه "[1].

ما ذكره الإمامُ أبو زهرة هنا أراهُ نقلا عن القرطبي[2]، و أن الفراء ذكر الفرق، حيث قال: " و قد قرئ بهما جميعا. والضمّ أجْودُ. قال الذين كسروا ما كان من السّخرة

فهو مرفوع، وما كان من الهزؤ فهو مكسور"[3]، وقد نقل الثعلبي (ت٤٢٧هـ) عن: "الفرّاء: الكسْرُ بمعنى الاسْتِهزاء بالقول، والضمّ بمعنى التسْخير والاسْتِعباد بالفعل"[4]. وحكى الطبري (ت ٣١٠هـ) اختلافَ العلماءِ في قراءتِها ومعناها غير أنه قال: " وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ وَلُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِد...، وَلَيْسَ يُعْرَف مَنْ فَرَّقَ بَيْن مَعْنَى ذَلِكَ إِذَا كُسِرَتِ السِّين وَإِذَا ضُمَّتْ.."[5].

---

(١) زهرة التفاسير/ ٥١٢٤.

(٢) قال القرطبي (ت ٦٧١هـ):" ﴿ فاتّخذتُموهم سُخريا﴾ بالضم قراءة نافع وحمزة والكسائي هنا وفي – ص –وكسر الباقون . قال النحاس: وفرق أبو عمرو بينهما، فجعل المكسورة من جهة التهزؤ، والمضمومة من جهة السخرة، ولا يعرف هذا التفريق الخليل ولا سيبويه ولا الكسائي ولا الفراء. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد...وحكى الثعلبي عن الكسائي والفراء الفرق الذي ذكره أبو عمرو، وأن الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستبعاد بالفعل.".تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٤.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/ ٢٤٣.

(٤) تفسير الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ت٤٢٧هـ تح: الإمام أبي محمد بن عاشور ٧/ ٥٨-٥٩ ط١ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٨٠.

وأرى أنّ المُحققَ ابن الجزري أيّدَ هذا الفرق عندما قال: " واختلفوا في (سخريّا) هنا و(ﷺ) فقرأ المدنيّان وحمزة و الكسائي وخلف بضم السّين في الموضعين وقرأ الباقون بكسْرها فيهما واتفقوا على ضمّ السّين في حرْف الزخرف لأنه من السُّخرة لا من الهُزء "[1]

بين **الضم و الفتح** **القُرح / القَرْح**

قال في قولِهِ " تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾[آل عمران/ ١٤٠] القرْح بفتح القاف: الجرح، وبضمّها: الألم الذي يترَتّب عليه، وقال الكسائي والأخفش: اللغتان بمعنى واحد[2]وهو الجرح وأثره، وبهما قرئت الآية [3]، ولقدْ جاءَ في المُفردات للأصفهاني[4]: "القَرْحُ : الأثرُ من الجراحة من شيءٍ يُصِيبُه من الخارج، والقُرْح: أثرها من الداخل، كالبثرة ونحوها". فالقَرْح على هذا أثرُ الجراحات في الظاهر، وبالضمّ أثرها في الباطن وإذا كان القرح هنا معنويا، فيصحّ أن نقول: إنه بالفتح ما يعقب المعركة من ألمٍ واضحٍ للهزيمة، وهو بالضمّ الغمّ والحزن الذي يستولى

(١) النشر ٢/ ٣٢٩.

(٢) أضاف ابن جني إليهما القَرَح بفتح القاف و الراء، وذهب إلى أنها كلها لغات . المحتسب ١/ ١٦٦-١٦٧ .

(٣) (واختلفوا) في (قرح والقرح) فقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بضم القاف من قرح في الموضعين (وأصابهم القرح) وقرأ الباقون بفتحها في الثلاثة النشر-٢/ ٥٧، وقارن بإتحاف فضلاء البشر/ ١٠٨.

(٤) المفردات / قرح.

على النفوس حتى يكون النصر من جديد، وإن الظاهر هنا أنّ الفتح أوْضح؛ لأنَّ الله عبَّرَ عن أثره بأنه مسٌّ فقال:﴿ إن يمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ ، والمسّ إنما يتناول الظاهر فقط..."[1]

ونقل القرطبي عن الكسائي و الأخفش أنّ" الضمّ و الفتح فيه لغتان.."، و عن الفراء: هو بالفتح : الجرْح و بالضمّ : ألمه ".[2].

ونلاحظ هنا أن الإمام أبا زهرة رجّح هنا قراءةً لارتباطها دلاليًّا بمعنى يؤيّده السّياق.

الكُره / الكَره

قال في قوله تعالى: "﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة/ ٢١٦]... قريء بضمِّ الكاف وفتحها، والضم أكثر، وهو بمعنى الكراهة؛ أي القتال لشدة ويلاته وما فيه من إزهاق للأرواح كأنه الكراهة نفسها، ويصحّ أنْ يكون كُرهٌ بمعنى المكروه، أي خبزٌ بمعنى المخبوز، ...، وعلى قراءة الفتح يكون فيه معنى الإكراه، فيكون المعنى عليه: كتب عليكم القتال، وهو أمرٌ أنتم تلجئون إليه إلجاءً، وتضطرون إليه اضطرارا؛إذْ إنّ الكَرْه ضدّ الطوْع؛ فكأنكم لا تدخلون الحربَ طائعين، بل تدخلونها مُكرَهِين كارهين...، فأنتُم مُضّطرّون مُكرَهُون على القتال؛ لإزالة الفتنة وصَوْنا للحُرُمات، وذوْدًا عن الدِّين...."[3].

---

(١) زهرة التفاسير/ ١٤٢٢.

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٢١٧ قال الفراء: " وكأنّ القُرْح ألم الجراحات، وكأنّ القَرح الجراح بأعيانها" معاني القرآن للفراء تحقيق: أحمد يوسف نجاتى / محمدعلى نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى ١/ ١٣٤.

(٣) زهرة التفاسير/ ٦٨٠-٦٨١.

" قال ابنُ عبّاس: مَن قرأ كُرْها بالضم أي بمشقة، ومَنْ قرأ كَرْها بالفتح أيْ إجبارا.. قال أبو عمرو و الكُرْه ما كرهته والكَرْه ما اسْتكرهت عليْه ويحتجّ بقول الله جلّ وعزّ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾، وقال الأخفش: هما لغتان.. وقال قوم: الكَرْهُ المصدر، تقول كرهته كرها، مثل شَربْته شرْبا، و الكُرْه: اسْمُ ذلك الشّيْء "[1]

وقد عرض الرّاغبُ الآراء في (الكره) بالضم والكسر دون ترجيح رأي، فقال: " قيل: الكَره و الكُره واحد..وقيل: الكَرْهُ: المَشقة التي تنالُ الإنسان مِن خارج فيما يُحْمَل عليْه بإكراهٍ، و الكُرْه ما يناله مِن ذاتِه وهو يَعافه".[2]

الوُقود / الوَقود

قال في قوله تعالى: "﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾[آل عمران/ ١٠].... الوَقودُ : هو الحَطبُ الذي تُحَرَقُ به النار، وأصله من وقدتْ النارُ تقِدُ إذا اشتعلتْ، والمَصْدر الوُقود، وبالفتح ما يكون به الاتقاد والاشتعال. والمعْنى على هذا أنّ الكافرين يكونون وقود النار.... وقريء (وُقود)[3]، وهذا يكون فيه مُبالغة فى شدّة احتراقهم...حتى كأنهم الاشتعال لا مادّة الاشتعال، ولا مَن يكوى بهذا الاشتعال."[4] ونقل القرطبي عن " الكسائي و الأخفش: الوّقود بفتح الواو: الحَطب، و بالضمّ.. قال النحاسُ: يجبُ على

(١) حجة القراءات لـ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة تح/ سعيد الأفغاني ١/ ١٩٦ط٢ بيروت ١٤٠٢هـ.

(٢) المفردات / كره.

(٣) قرأ بها مجاهد و الحسن و جماعة / البحر المحيط ٢/ ٤٥ " بضم الواو طلحة بن مصرف " مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه/ ١٩.

(٤) زهرة التفاسير/ ١١٢١.

هـذا ألا يُقـرأ إلا وَقودُهـا بفـتح الـواو؛ لأنّ المعنـى: حطبهـا، إلا أنّ الأخفشَ...حكـى أنّ بعضَ العربِ يجعلُ الوَقودَ بمعنى الحطب، و المصدر. قال النحـاس: وذهـب إلى أن الأول أكثـر."[1]وذكـر الرّاغـب أن الوُقـود مصـدر، وأن الوَقـود يُقـال للحَطـب المَجْعُـول للوُقود...[2]

بين الكسر و الفتح العِوج / العوَج

قال في قوله تعالى : "﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[طه/ ١٠٧] العِـوَجُ : التعَـوّج. والأمْتُ: التلال الصغيرة، أي تصير الأرض بعد نسْـف جبالها مستوية لا انخفـاض فيهـا ولا ارتفاع...، ويجب أنْ ننبّه هنا إلى أمْر ذكره الزمخشري[3] فإنه قـرّرَ أنّ "العِـوَج"، بكسْر العَيْن يكون في المعنويّات أوْ ما لا يُعْرف إلا بالنظر ولمُقايَسـات، و" العَـوَج"، بفـتح العـين ما يكون في الحِسّيّات، ولكنه عبَّرَ هنا بما يَدُلُّ على المَعْنويّـات؛ وذلـك ليكـون النفـي شـاملا لكل ما يكون علوا، ولو كان العلو لا يعرف بـالنظر المجـرّد، بـل يُعْـرف بالقيـاس وميـزان الماء، فهذا العوج و إنْ كان في الحِسّيات لمْ يُعرَف بالمقاييس و الموازين العقلية."[4].

وأشار ابن فارس إلى هذا الفرق بقوله : " العَوَجُ: اسْمٌ لازمٌ لما تراه العيُونُ في قضيبٍ أو خشبٍ...والعِوَج ـ بالكسر...نحو دِين ومعاش".[5]

(١) تفسير القرطبي١/ ٢٣٦، و قارن بمعاني القرآن للفراء١/ ٣٥٨، وروح المعاني٨٩/ ٣٠.

(٢) المفردات/ وقد.

(٣) قال الزمخشري: " في العود عَوَج، و في الرأي عِوَج "الكشاف ٢/ ٧٠٢، والأساس / عوج.

(٤) زهرة التفاسير / ٤٧٨٨.

(٥) مقاييس اللغة / عوج.

قال الرّاغب (ت٥٠٢هـ): " العَوَج يقال فيما يدرك بالبصر سهْلا كالخشب المنتصب ونحوه، والعِوَج يقال فيما يدرك بالفكر و البصيرة"[١].

وفرّق بينهما القرْطبي فقال: " العِوَج بكسر العين في الدِّين و الرّأي...و بفتحها في الأجسام كالخشب و الجِدار.."[٢].

الولية / الوَلية

وقال الإمام أبوزهرة : " والوَلِيُّ: فعِيلٌ بمعنى فاعلٌ من الوِلاية. ولقد قال الرّاغب الأصْفهاني[٣]: الوِلاية بالكسر ـ النُّصْرة، والوَلاَية بالفتح تَوَلِّي الأمرِ. وقيل: الوِلاية والوَلاية واحدة، نحو الدِّلالة والدَّلالة .. ". والوَلاية كما تطلق بمعنى السلطان تطلق بمعنى المَحبّة والوَلاء، كما في قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ.. ﴾[٤] [الكهف/ ٤٤] والوَلِيِّ في الآية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة/ ٢٥٧] يكون بمعنى ناصرهم، وقد ذكرنا أنّ الولاية تكون بمعنى النصْرة ، وبمعْنى المُسَيْطر على نفوسهم وحْده الموجه الهادي، إذ قد سَلِمَت نفوسُ المُؤمِنِين من نزغات الشيطان".[٥]

---

(١) المفردات / عوج.

(٢) تفسير القرطبي / ١٠/ ٣٥٢.

(٣) المفردات / ولي.

(٤) قال ابن الجزري: " (واختلفوا) في (ولايتهم) هنا وفي الكهف ﴿هنالك الولاية﴾ فقرأ حمزة بكسر الواو فيهما، وافقه الكسائي وخلف في الكهف وقرأ الباقون بفتح الواو في الموضعين."النشر٢/ ٨٥

(٥) زهرة التفاسير/ ٩٥١،وقارن بما ذكره ص/ ١١٧٥، وقارن بتفسير القرطبي ١٠/ ٤١١.

الفصل الثالث
اختلافُ دلالة اللفظين لاختلاف دلالة الصِّيغة الصَّرْفيّة

أولا: المصدر
دلالة صيغة المصْدر الميميّ، والمَصْدر الأصلي:

قال الشيخُ أبو زهْرة: " و﴿ مَرْضَاتِ ﴾ [1] مصدرٌ مِيمَيٌّ بمعنى الرِّضا، ولا شكّ أنّ التعْبيرَ بالمصدر الميمي دون المصدر الأصْلي له معنى يُدركه السّامعُ بذوْقهِ، ولمْ نجدْ النحْويَّين ولا البلاغيين تعرضوا لبيان التفرقة بيْن التعبير بالمصْدر الميميّ وغيْرِهِ؛ والذي يَتبَدّى لنا ونظنه تفرقة بَيْنهما أنّ المصْدرَ المِيميّ يُصوّر المَعنى المَصْدري واقعا قائما مُتحَققا في الوجود، أمّا المصْدرُ غيْرُ المِيميِّ فيُصوّر المَعْنى مُجَرّدا؛ فإذا كانت كلمة مقال بمعنى القول، فإن التعبير بالقول يصوّر معنى مجرّدا من غيْر نظر إلى كونه تحقق وجوده أوْ لا، أمّا كلمة مقال فتصوّر معنى وُجد وتحقق، أوْ في صورة الموجود المُتحقق؛ وعلى ذلك يكون معنى ﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أنهم يبيعون أنفسهم طالبين طلبا موثقا رضا الله سبحانه *حقيقة واقعة مؤكّدة*، ويتصوّرون رضاه سبحانه حقيقة قائمة قد حلت بهم، فيشتدّ طلبهم ". [2]

قديما لمْ ينبِّهْ الأئِمَّة إلى الفرْقِ بيْن نوْعيْ المصدر الأصليّ و المِيمِيّ من ناحية الدّلالة، ومن ذلك قول سيبويه: " فإذا أرَدتَ المصدرَ بنيْتهُ على مَفعَل وذلك قولك: إنَّ في ألْف

(١) من قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة / ٢٠٧].

(٢) زهرة التفاسير/ ٦٤٧.

دِرْهم لمضربا، أي ضرْبا، قال الله (ﷻ): ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [القيامة/ ١٠] يُريدُ أيْن الفرارُ؟ ".[١]

والذين نقل عنهم الإمام أبو زهرة في هذا الدرس اللغوي لمْ يُفرّقوا...وهذا واضح من كلامه السابق، فالقرطبي مثلا في تفسير (مَرْضَاتِ) بأنها" مَصْدر رَضِيَ يَرْضَى"[٢]. والزمخشري لم يعلق على كلمة (مَرضات) [٣] وإن كان في موضع آخر لم يفرق.. قال: " مَغرما: غرامة و خسران، والغرامة ما يُنفقه الإنسان وليس يلزمه"[٤].

والرّاغب يُلمح مِن كلامه أنّ هناك فرْقا دلاليا بيْن صِيغتي المصْدر، فقد رفع دلالة الميمي إلى درجة التمام...يقول: في كلمة (مَتابا) : " أي التوبة التامّة وهو الجمْع بيْن ترْك القبيح و تحَرّي الجَمِيل ".[٥]

ومن المُحْدثين [٦] مَنْ أشار إلى عَدَم التطابق بَينهما وإلا لما اختلفت الصِّيغة، فالمَصِيرُ لا يطابق الصَّيْرورة و المَرْجع لا يُطابق الرّجوع أوْ الرّجع، و المَفرّ ليْس مَعْناهُ الفِرار تماما، و المَساق لا يُطابق السَّوْق... و أنّ المصدرَ المِيميّ في الغالب يحمل معه عُنصر الذات ـ غالبا

(١) الكتاب تح / العلامة هارون ٤/ ٨٧ وقال:" وإن كان المَفْعَل مصدرا أُجري مُجْرى ما ذكرنا من الضرب و السير و سائر المصادر التي ذكرنا ؛ وذلك قولك إن في ألف درهم لَمَضْرَبا، أي إن فيها لضربا "السابق.١/ ٢٣٣.

(٢) تفسير القرطبي ٣/ ٣١٤.

(٣) الكشاف ١/ ٢٥١.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٠٣.

(٥) المفردات / توب / ٧٦.

(٦) معاني الأبنية في العربية د/ فاضل صالح السامرائي / ٣٢ دار عمار بغداد ٢٠٠٧م.

ما يكون عَلَماً، بخلاف المصدر غير الميميّ فإنه حدث مجرد من كل شيء فقوله تعالى: ﴿ وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج/ ٤٨] لا يُطابق الصّيْرُورة فإن المصير يحمل معه عنصرا ماديا.. وكذلك الحياة و المَحْيا، و المَوْت و المَمات...ومن ناحية ثانية : المصدر الميميّ في كثير من التعبيرات يحمل معه معنى لا يحمله المصدر غير الميميّ فالمصير ـ مثلا ـ يعني نهاية الأمر بخلاف الصّيْرورة... تقول يعجبني صيرورتك رجلا و لا تقول: مصيرك رجلا،... و مثل ذلك النهاية و المنتهى، تقول هذه نهايتك وهذا منتهاك، فنهايتك تعني فناءك، بخلاف منتهاك فإنها تعني مصيرَك لا فناءك أي نهاية ما بلغت إليه، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم/ ٤٢].

و أرى أنّ الناحية الثانية مِمّا يدل عليه المِيميّ ـ نهاية الأمر ـ تتلاقى مع لمْحناه من كلام الرّاغب ـ تمامه ـ، و لا تتجاوز ما ذكره الإمام أبو زهرة من تصْوير المَعْنى واقعا قائما متحققا في الوجود و مؤكّدا.

فُعْل / فَعْلاء

بُغْض و بَغْضاء

قال الإمام أبو زهرة في قوله تعالى : " ﴿... قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران١١٨] البغضاءُ: البُغضُ الشديدُ المتمكن الثابت الذي لا يَتَغيّر و لا يزول فهي صفة ثابتة، و فَرْقٌ بين البُغض و البَغضاء، فالبُغض حالٌ تقبل الزّوَال، و أمّا البَغضاءُ فهي كراهية يُبعُد زوالها، و هي على ذلك أخصّ مِن البُغض المُطلق، إذْ هي بغضٌ مُقيّدٌ"(١).

(١) زهرة التفاسير/ ١٣٨٠-١٣٨١.

قال الجوهري : " البَغْضاء: شِدّةُ البُغض".[١]وقال أبوحيّان: " البَغضاء: مَصْدرٌ كالسّرّاء والبأساء يقال: بَغِضَ الرّجل فهو بغيضٌ، وأبغضته أنا اشتدت كراهتي له."[٢]

قال الفخر: " البَغضاء أشدّ البُغض "[٣]، ونحو ذلك ذكر الألوسي[٤].وهنا تصريحٌ بالفرق مِن حيثُ الخصوص و العموم أو الإطلاق و التقييد. *وربما كان لـ فعلاء دلالة أخرى زائدة على البُغض تتمثل فيما تعكسه من ألوان كـ حمراء وبيضاء، وكأن البغضاء لشدتها بدت من أفواههم و اكتسَتْ بها وجوههم.*

يقول ابن كثير: "..أي *قد لاح على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه* في صدورهم من البغضاء للإسلام"[٥].

وفي هذا يقول السمين الحلبي: " قوله تعالى : ﴿ **قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ** ﴾ إشارة إلى ما يظهر من أثرها على ألسنتهم حيث يتكلمون بما يدل عليها و إلا فالبغضاء أمر معنوي محلها القلب ".[٦]

---

(١) تاج اللغة و صحاح العربية تح/ أحمد عبد الغفور عطار ٣/ ١٠٦٧.

(٢) البحر٣/ ٣٥وقار بـ اللسان / بغض، وقال القرطبي"فعلاء مصدر مؤنث" جامع الأحكام للقرطبي ٤/ ١٨٠.

(٣) تفسير الرازي ٨/ ٢١٧.

(٤) روح المعاني ٢٨/ ٧١.

(٥) تفسير القرآن العظيم لـ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ت ٧٧٤، ١/ ٤٠٠ .

(٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لـ السمين الحلبي ت٧٥٦هـ تح محمد باسل١/ ٢١٢.

فَعـال / تفعيـل

تَباب وتَتْبيب

قال الشيخ أبو زهرة: " التّبابُ: الهلاك و التّتْبيب الإهْلاك الشديد الذي يَتضاعَف في ذاته، أي ما زادوكم إلا هلاكا متضاعفا، و الهلاكُ ليس زيادة في ذاته و إنما الزيادة هي زيادة في الضّرَرِ، وقوله تعالى: ﴿ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (١)، أي هلاك متضاعف متكرر".(٢)

وقد أشار الإمام سيبويه إلى أنه عند الدلالة على التكثير فإنه يزاد في بناء المصدر بإلحاق الزوائد (٣). قال ابن فارس: " التاء والباء كلمةٌ واحدة، وهي التّباب، وهو الخُسْران. وتبّاً للكافر، أي هلاكاً لـه.وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾، أي تخسير..."(٤) ونحو ذلك ذكر الرّاغب(٥)، وقال الطبري: "...وما زادتهم آلهتهُم عند مجيء أمر ربِّك بعقاب هؤلاء المشركين غير تخسير و تدْمير و إهلاك، يُقال منه تبّتْه أتبُّه تتبيبا ومنه قولهم للرّجُل تبّا...."(٦) قال ابن القطاع : "تبّ تبابا، هلك وأيضا ضعف"(٧) وتبَّ الشيءُ تبّا وتبَبا و تبابا وتبيبا : انقطع.."(٨)

---

(١) من قوله تعالى:﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود / ١٠١].

(٢) زهرة التفاسير / ٣٧٤٩.

(٣) " هذا باب ما تُكثّر فيه المصدر من فعَلتُ: فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخرَ، كما قلتَ في فعَلتُ فعّلتُ حين كثّرتَ الفعْلَ، وذلك قولك في الهَذْر:التَّهْذار...وليس شيء من هذا مصدر فعَّلْتُ، و لكن لّما أردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعَلْتُ على فعَّلْتُ". الكتاب ٤/ ٨٣ ـ٨٤.

(٤) مقاييس اللغة / تب.

(٥) المفردات / تب/ ٧٢.

(٦) تفسير الطبري ١٢/ ١١٣.

(٧) كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥هـ) ١/ ١١٩، ط دار المعارف العثمانية ١٣٦٠هـ.

(٨) المعجم الوسيط / تب ١/ ٨٤.

وذكر أبو حيان "التَّتْبيب : التَّخسير... وقال ابنُ عطيّة: " و صورة زيادة الأصنام التتبيب إنما هو يُتصوّر بأن تأميلها و الثقة بها و التعب في عبادتها، شغلت نفوسَهم عن النظرفي الشرْع و عاقبته، فلحق من ذلك عقابٌ وخسرانٌ، وإمّا بأنّ عذابَهم على الكفر يُزاد به عذاب على مجرّد عبادة الأوثان".[١]

فِعال / فُعْلان
الحساب و الحُسْبان

قال الإمام أبو زهرة: " قوله تعالى : ﴿... بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن/ ٥] أي بحِسابٍ دقيقٍ لا يتخلف عن مواقيته في كل بقعة في الأرْض على حالها، لا يتقدّم ميقاتها ولا يتأخر حتّى يُنفخ في الصُّور... والفرْقُ بيْن الحِساب و الحُسْبان، أنّ الحسابَ مُقدّرٌ بعْدَ وقوع ما يُحْسَبُ وما يُعَدّ، أمّا الحُسْبان فإنه يُحسَبُ و*يُقدّرُ* قبْل الوُقوع ".[٢]

عند الرّاغِبُ : " الحِسابُ: اسْتعمالُ العَدد، يُقالُ حَسَبْتُ أحْسِبُ حِسابا و حُسْبانا"[٣] وأما حسبان فقال الزمخشري : "بحُسْبان: بحِساب معلوم *وتقدير* سويّ تجريان في بروجها ومنازلها"[٤] وقيل: إنه " جمع حساب، وأنه مصدر حسَبت الشيء

(١) البحر المحيط تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ على محمد عوض مع آخرين ٥/ ٢٦٠ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) زهرة التفاسير/ ٢٦٠١.

(٣) المفردات / حسب ١١٦.

(٤) الكشاف٤/ ٤٤٣.

حسبانا و الاسم الحساب "[1]، و " قيل نارا وعذابا و إنما هو في الحقيقة ما يُحاسَبُ عليه فيُجازَى بحَسَبِهِ"[2] وذكر الفخر وجهين لحسبان "أحدهما: الحساب...والثاني أن الحُسبان هو الفلك، تشبيها بحُسبان الرّحى وهو ما يَدُور فيُدير الحجر"[3] وأقرب ما قيل ـ في الحُسبان ـ لكلام الشيخ أبي زهرة ما ذكره الزمخشري.

تَـفْـعُلَة / فعال التَّـهْلكة و الهَلاك

قال الإمام أبو زهرة: " ﴿ ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [4] بضمّ اللام. مَصْدَرٌ بمعنى الهَلاك، كما قال أبو عُبيْدة و الزّجاج وادّعى بعضُ عُلماءِ اللغة[5] أنه لمْ يُوجدْ مصدرٌ على وزن تَفعُلة إلا هذا، و لكن رُوِيَ عن سيبويه[6] كلمتان أخرَيَان هُما: تنصرة وتَسترة، بمَعْنى نصْرٌ و ستْرٌ.. ومهْما يكن فإن ﴿ ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ إذا كانت بمعنى (الهلاك) في المال، فلا بُدّ أنْ يكون ثمّة فرْقٌ

(١) تفسير القرطبي ١/ ٤٦ وقارن بـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير لـ محمد بن على الشوكاني ت١٢٥٠هـ ٥/ ١٣١ دار الفكر بيروت و البحر المحيط٨/ ١٨٧.

(٢) المفردات / حسب وقارن بـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لـ السمين الحلبي ت٧٥٦هـ تح محمد باسل١/ ٤٠١.

(٣) مفاتيح الفخر الرازي ٢٩/ ٨٨.

(٤) من قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة / ١٩٥].

(٥) ينظر مثلا ليس في كلام العرب لابن خالويه (ت٣٧٠هـ)تح / أحمد عبد الغفور عطار / ١٢٤، ٣٤٥ مكة المكرمة ط٢ ١٣٩٩هـ.

(٦) قال سيبويه:"وأما التاء فتلحق أولا فيكون الحرف على تفعل في الأسماء نحو:تنصبٍ وتتفلٍ والتضرة والتسرة"الكتاب٤/ ٢٧٠.

دقيقٌ اقتضى العُدول من لفظ الهلاك إلى لفظ ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، كما هو الشّأن في التخيّرمن الألفاظ المُترادفة في الكلام البليغ، و لوْ أنَّ لنا أنْ نتلمّسَ فرْقا فهو أن نقول: إن التهلكة هلاكٌ خاص، و هو الذي يُباشر سببَه من ينزل به الهلاك و ربّما لا يَنزلُ دفعة و احدة، بل يَسْري شيْئا فشيْئا و لكن نتيجته تكون مؤكّدة؛ أمّا لفظ الهلاك فهو يشمل ما ينزل دفعة واحدة وما لا يكون للإنسان فيه إرادة و غيرهما ".(١)

قال الزمخشري: "التهلكة مصدرٌ. ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التَّضُرَّة والتَّسُرَّة"(٢)

وقال الرّاغب: " التهلُكة: ما يُؤدّي إلى الهلاك"(٣). وقال الألوسي: "وليس في كلام العرب(٤) مصدر على (تَفْعُلة) بضمِّ العيْن إلا هذا في المشهور،... وفرق بعضهم بين التهلكة و الهلاك، بأن الأوّلَ ما يُمكنُ التحرّز عنه و الثاني ما لا يمكن، وقيل الهَلاكُ مصدرٌ، والتهلكة نفس الشيء المُهْلك.. "(٥)

ونستخلص من النصِّ السّابق أنّ الترادفَ عِندالإمام أبي زهرة – من حيثُ الوجود والاستعمال – مَوْجودٌ ومُسْتعملٌ. وهذا لايتعارض مع رُؤيته بأنّ الكلامَ البليغ وعلى قمته القرآن الكريم لابد فيه من وجود فروق دلاليّة بيْن الألفاظ المُترادِفة، وإن كانتْ

(١) زهرة التفاسير / ٥٩٤.

(٢) الكشاف١/ ٢٣٨.

(٣) المفردات / هلك٥٤٤.

(٤) ينظر ليس في كلام العرب / ١٢٤، ٣٤٥.

(٥) روح المعاني٢/ ٧٨.

دقيقة...وأنْ اسْتخلاصها ليْس بالأمْرالهيّن دلّ على ذلك قوله: "و لَوْ أنّ لنا أنْ نتلمَّسَ فرقا". وأنه وافق الرّاغبَ في أن التهلكة فيها معنى السببية، فضلا عن تصريحه بخصوصيّة التهلكة، وزاد احتماله معنى عدم حدوثِ الشيءِ دفعة واحدة وأضاف الألوسي فروقا إلى ما سبق ذكره...

ثانيا: الفعـــــل

فعل و أفعل [1]: حصر و أحصر

قـال في قولـه تعـالى: "﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾[البقـرة / ١٩٦] مـادة (الحَصْر) في اللغة: تدلُّ عـلى التضييق....؛ ولِذلِك أطلقــت عـلى الحَبْس. وقـال سُبْحانه ﴿ .. وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٨] هـذا موضـع اتفـاق بـين عُلـماء اللغـة، ولكن الخلافَ بيْنهُم فى الفـرْق بَيْن الإحْصـار، والحَصْر؛ فقـد قـال الكسـائىّ وأبـو عبيـدة وكثيرون مِن عُلماء اللغة الإحْصارُ: المَنعُ بالمَرَض أو ذهاب النفقة، أيْ ما يكون الحبْسُ فيـه مِن ذاتِ الشخص لا مِنْ أمْرٍ خـارجٍ عنه، والحصْر: هـو حصْر العدوّ، وعـلى هـذا يقـال أحْصره المرَض، وحصَره العدو، وقال الفـراء: هما بمعنى واحـد، فيقـال حصرـه المـرض وأحصره، وحصَرَهُ العدوُّ وأحْصرـه، وقـال الراغـب الأصـفهانى: إن الإحصـار أعـمُّ مـن الحصْر، فهو يستعمل للحَبْس بالعدوّ وبالمرض ونحوه، وأمّا الحَصْر فيُسْتعمل في المَنع مـن ذات الشخص بـالمرض ونحـوه فقـط. ولقـد قـال أبـو العبّـاس المُبرّد والزجّـاج: إنّ كليهما يكـون للحَبْس بعمـل العـدو، وبـالمرض ونحـوه؛ ولكـنهما مـع ذلـك مختلفـان في المعنـى،

(١) ذكر سيبويه افتراق فعلت و أفعلت في الفعل و المعنى وانه قـد يجيء فعلـت و أفعلـت المعنى فـيهما واحد، إلا أن اللغتين اختلفتا.الكتاب٤/ ٥٥،٦١.

فالحصر معناه الحبْس، والإحصار معناه التعرّض[1] للحَبْس والضّيق، بالعدُوّ أو المرض، كما يقال حبسه بمعنى أدخله في المحبس، وأحبسه بمعنى عَرّضه للحبس، وقتله بمعنى أوقع به القتل، وأقتله بمعنى عَرّضه للقتل، وقبَرَهُ بمعنى دفنه، وأقْبَرَه ُبمعنى عرّضَهُ للدّفن. *وعندي* أن هذا هو الفرق الدقيق الذى يكون بين الحَصْر والإحْصار، فالفرق بينهما فى معنى الاستعمال الدقيق، لا فى موضع الاستعمال."[2]

وذكرهما أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) في باب " فعلت وأفعَلت والمعنى مختلف" فقال: " وحصَرت الرّجلَ في منزله...و أحْصَرهُ المرَضُ إذا منعَهُ مِن السَّيْر"[3]. وكذا أبوهلال العسكري: " قالوا: الإحْصار في اللغة منعٌ بغير حبْس، و الحصْرُ المنع بالحبْس قال الكسائي: ما كان من المرَض قيل فيه: أحْصرَ، و قال أبو عبيدة: ما كان من مرض أو ذهاب نفقة قيل فيه: أحصر، و ما كان من سجنٍ أو حبْسٍ قيل فيه: حصَر فهو مَحْصورٌ، و قال المُبرّد: هذا صحيحٌ، وإذا حَبَسَ الرَّجلُ الرّجلَ قيل: حَبَسَهُ، و إذا فعل به فعلا عرّضه به لأنْ يُحْبَس قيل: أحْبَسَهُ.."[4]

فكثير من العلماء على وجود الفرق، وإن اختلفوا فيه، مِن حيثُ العُموم و الخصوص أو من حيث إيقاع الفعل و التعرّض له وهذا الأخير مُستفاد من معنى الصِّيغة الصَّرْفيّة..

(١) يراجع في ذلك (باب أفعلت الشيء عرّضته للفعل) أدب الكاتب لابن قتيبة تح/ محمد الدالي / ٤٤٦.

(٢) زهرة التفاسير/ ٦٠٣-٦٠٤ .

(٣) ذكرأنهما بمعنى دون ذكر المعنى .فعلت و أفعلت للزجاج تح د/ رمضان عبد التواب / ٦٨.

(٤) الفروق اللغوية / ١١٥.

قال سيبويه : " تجيءُ أفعَلتُه على أن تُعَرِّضه لأمر، و ذلك قولك: أقتلته أي عرَّضته للقتل"[١]، ونحو ذلك ذكر ابن قتيبة[٢].

رصد و أرْصد

قال الشيخ أبو زهرة: "يُقال رَصَدَ و أرْصَدَ[٣]: راقبَ، و رَصَدَ : تكون للخيْر والشَّرِّ وأرْصَدَ: لا تكونُ إلا لِلشرّ، و قد اتّخذ هذا المسْجد؛ لِيَكُونَ مَوْضِعَ ترقّب لِلمُنافِقين يتصلون منه بأعداء الله تعالى"[٤].

قال ابن قتيبة: "قال أبو زيد: (رصدته بالخير)، وغيرِهِ أرْصُدُه رَصْداً... و أرصدتُ له بالخير وغيره إرصادا. قال ابن الأعرابي : أرصدت له بالخيْر و الشرِّ"[٥]

و ذكرهما أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) في فعلت و أفعلت و المعنى واحد[٦] .

و(رصد) عند ابن فارس "أصْلٌ واحدٌ، وهو التهيّؤُ لِرِقْبةِ شيءٍ على مَسْلكه...يُقالُ أرْصدتُ له كذا، أي هَيّأتُه لهُ كأنكَ جَعَلته على مَرْصَدِهِ..وقال الكسائيّ: رصدته أرْصُدُهُ، أي ترَقبْته و أرْصَدتُ لهُ، أي أعْدَدْت".[٧] و قال أبو حيان: "إرْصادًا: أي إعدادًا لأجْل

---

(١) الكتاب تح / العلامة عبد السلام هارون٤/ ٥٦ ط٢ مكتبة الخانجي ١٤٠٢هـ.

(٢) أدب الكاتب لـ ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تح / محمد الدالي / ٤٦٣ مؤسسة الرسالة.

(٣) في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة/ ١٠٧].

(٤) زهرة التفاسير / ٣٤٤٢.

(٥) أدب الكاتب / ٤٤٥.

(٦) فعلت و أفعلت للزجاج تح/ رمضان عبد التواب / ٧٨.

(٧) مقاييس اللغة ٢/ ٤٠٠ رصد.

مَنْ حاربَ اللهَ و رَسُولَهُ"[1]، وقال الفخر الرازي: " قال الزجاج: الإرصاد: الانتظار. و قال ابن قتيبة: الإرصاد: الانتظار مع العداوة، و قال الأكثرون: الإرصاد: الإعداد".[2] وكذا نقل الشوكاني[3] عن ابن قتيبة، وذكر الرّاغبُ أنّ : " الرَّصَدَ الاسْتِعْدادُ للترقب، يقال رَصَدَ له و ترَصّدَ و أرْصَدته له، قال (ﷻ): ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ ".[4]

قال ابن القطاع (ت٥١٥هـ) : "رصدتُه بالخير والشرّ رصْداً. و أرصدته: أعددتُ له. ورصدتُ الشيءَ : رصْدا ورصَدا ترقّبْتُه، ورصدت له: أعددت له"[5].

قال ابن سيده : "رَصَده بالخَيْرِ وغيرِه يَرْصُدُه رَصْداً تَرَقَّبهُ ورَصَدهُ بالْمُكافأَةِ كذلك وقال بعضُهم أرْصَدَ له بالخَيْرِ والشَّرِّ لا يُقال إلابالأَلِف وقيل تَرَصَّدَهُ تَرَقَّبَه | وأرصَدَ له الأَمْرَ أعَدَّه"[6] قال القرْطبي: "الإرْصاد: الانتظار تقولُ: أرْصدتُ كذا، إذا أعدَدْته مُرتقبا له. قال أبو زيد: يقال رصدته و أرْصدته في الخيْر، و أرْصدت له في الشر ".[7] وفي تاج العَرُوس: "و (أَرْصَدْتُ له: أَعْدَدْتُ). قلتُ: و به فَسَّرَ بعْضُ الْمُفَسِّرينَ قولَه تعالى:

(١) البحر المحيط ٥/ ١٠٢.

(٢) مفاتيح الغيب ١٦/ ١٩٩.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير لـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ٢/ ٤٠٣ دار الفكر بيروت.

(٤) المفردات / ١٩٦ / رصد.

(٥) كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥هـ)٢/ ١٦ ط دار المعارف العثمانية١٣٦٠هـ.

(٦) المحكم/ ٨/ ٢٨٦ / رصد.

(٧) الجامع لأحكام القران/ ٨/ ٢٥٧.

﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [التوبة/ ١٠٧]...قال الأَزهريُّ: وهذا صَحِيحٌ مِن جهة اللّغَة ....(و) من المجاز: أَرْصدتُ له: (كافَأْتُهُ بالخَيْر)، هذا هو الأَصل، (أَو بالشَّر)، جعلَه بعضُهُم فيه أَيضاً". (١)

لم يفرق بينهما الزجاج، و ابن قتيبة، وابن الأعرابي، والراغب، ونقل الفخر والشوكاني أقوال العلماء دون تعقيب، غير أنهما نبها إلى أن الأكثرين على أن الإرصاد الإعداد، و نقلا عن ابن قتيبة الإرصاد: الانتظار مع العداوة.

وجعل القرطبي الإرصاد: الإعداد، ونقل عن أبي زيد الفرْق الذي ذكره الإمامُ أبو زهرة...أمّا ابنُ فارس فقد جعل (الترقبَ) و(التهيُّؤ والإعداد) أصلا لـ (رصد) وهذان المعنيان نقلهما ابن فارس عن الكسائي الذي أرى أنه فرّقَ بين رصَدَ و أرْصَدَ من حيثُ الترقب و الإعداد، لا مِن حيث الخيرُ و الشر... وفي ضوء ماذكره ابن فارس ونقله عن الكسائي وتفسير الأكثرين ومنهم أبو حيان ـ الإرصاد: الإعداد، وما ذكره ابنُ القطاع وابن سيده والزبيدي نخلص إلى أن (رَصَدَ رَصْدا) يدُلُّ على الترقب والانتظار، و(أرْصَد إرصادا) ـ مُتعدّيًا باللام يدلُّ على الإعْدادِ مجردا دون خير أو شر، فقد ضُمِّن مَعْنى (أعَدّ) الذي عُدّي باللام في عِشْرينَ مَوْضِعاً مِن القرآنِ الكريم. (٢) *فالفرْق بينهما مَن حيث الرّقْبة و الإعداد وليس من حيث الخير و الشر.*

(١) تاج العروس/ رصد/ ٨/ ٩٩.

(٢) من ذلك قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٤] وقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران١٣٣]

قسط / أقسط

قال : " القِسْط: هو النصيب بالعدْل..و القَسْط : أخذ نصيب غيرِه، و الإقساط: إعطاءُ غيرِهِ نصيبَه غيرَ منقوصٍ؛ ولذلك قال العلماء: إن القاسط هو الظالم، و لذلك قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن / ١٥] والمُقسِط هو العادل، و منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة/ ٤٢]"(١).

قال الزجاج ـ في فعلت و أفعلت باختلاف المعنى ـ : " قسَط الرّجُلُ في حُكمهِ: إذا جارَ، وأقْسَط إذا عَدَلَ"(٢). وذكر ابن القطاع(٣)، والطبري (٤)، و القرطبي (٥)، الفرق بين أقسط بمعنى: عدل، وقسط بمعنى: جارَ .

ـ فعل / فاعل لقوا و لاقوا

قال في قوله تعالى : "﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة / ١٤] لقي معناه قاربه، أو استقبله عن قرب، أو جمعهما مكان، وقريء : (لَقُوا) من لَقِيَ، كما قرأبو حنيفة وغيره (لاقوا)(٦). **والأولى**: تدل على مجرّد لقائهم مع أصحاب رسول الله عفوا أو

(١) زهرة التفاسير/ ٢١٩٥.

(٢) فعلت و أفعلت / ١١١.

(٣) كتاب الأفعال لابن القطاع ٣/ ٢٢.

(٤) تفسير الطبري ٦/ ٢٤٧.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ١٧ وقال: " القاسط: الجائر ...و المُقسط العادل ".

(٦) " ﴿وإذا لاقوا الذين آمنوا﴾ . محمد بن السميفع اليماني .مختصر ـ في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه / ١٠ وتفسير القرطبي ١/ ٢٠٦وقال محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ): " قرأ أبو حنيفة=

من غير إرادة، و الثانية: على الملاقاة بينهم و التلاقي المقصود، و الآية الكريمة تدل على المعنيين فهم حيثما التقوا بأصحاب رسول الله (ﷺ) سواء ألقوهم عفوا، أم لاقوهم قصدا واجتمعوا بهم قالوا لهم: آمنا، فهم يَسْترون كفرَهم دائما...".[1]

وعدنا /واعدنا

قال الإمامُ أبُوزهرة: "وقوله: ﴿ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[البقرة/ ٥١] فيها قراءتان: إحداهما (وَعَدْنا مُوسَى)، والقراءةُ الأخرى: (وَاعَدْنا)[2]، و إن المُواعدة لا تكون إلا بين طرفين، وذلك بعيدٌ عن الله تعالى، ولذا قيل إن معنى واعدنا ليس المُفاعلة التي تكون بين طرفين، بل معناها: وعدنا، و قد تستعملُ: صيغة فاعل في غير معنى المُفاعلة، كقولهم داويت العليل، وعالجتُ المريض، وعاقبتُ المُجرم. وعندي أن المُواعدة على معناها وهي من الله الوعد، و من مُوسى التلقي و الاستجابة و إنجاز ما وعد الله."[3]

قال أبو البقاء: "ليس من باب (المُفاعلة) الواقعة من اثنين، بل مثل قولك: عافاه الله.. وقيل: هو من ذلك؛ لأن الوعد من الله و القبول من موسى، فصار كالوعد منه وقيل: إن الله أمر موسى أن يَعِد بالوفاء ففعل ".[4]

=وابن السميفع لاقوا وجعله في البحر بمعنى الفعل المجرد .. " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني١/ ١٥٦ دار إحياء التراث العربي بيروت

(١) زهرة التفاسير/ ١٣٤.

(٢) "واختلفوا في ﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ هنا والأعراف وفي طه ﴿وواعدناكم جانب الطور﴾ فقرأ أبو جعفر والبصريان بقصر الألف من الوعد وقرأ الباقون بالمد من المواعدة .." النشر٢/ ٢١٢.

(٣) زهرة التفاسير/ ٢٣٠.

(٤) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبدالله بن الحسن العكبري ت٦١٦هـ تح/ على محمد البجاوي/ ٣٦ .

اصْبِرُوا / صابِرُوا

قال: " الصّبْرُ معناه: ضَبْطُ النفس عن أهوائِها، وتحَمُّل المكاره راضيا غيْرَ ساخطٍ...، فالصَّبْرُ معنى نفسي في الصّابر يجعله يعلو على الحوادث و النوازل، و يسْتولي على نفسه و يحملها على ما تحب و تكره.. و المُصابرة [1] هي المغالبة بالصّبْر، و هي تكون في الجهاد مع الأعداء في المَلحَمة، أو في المُجادلة، أو في أيِّ مغالبة على أيِّ لوْنٍ كانت ".[2]

قال الزمخشريُّ: " اصْبروا على الدِّين وتكاليفِهِ وَصابِرُوا أعداءَ اللهَّ في الجهاد، أى غالبوهم في الصَّبْر على شدائِدِ الحرْبِ لا تكونوا أقلَّ صَبْراً مِنهُم وثباتا. والمُصابرة: بابٌ مِن الصَّبْر ذُكِرَ بعْد الصَّبْرِ على ما يجِبُ الصَّبْرَ عليْهِ، تخصيصا لشِدَّتِه وصعوبته وَرابِطُوا وأقيموا في الثغور رابطين خيْلكم فيها، مترصّدِين مُسْتعدِّين للغزوِ".[3] وقد ذكر الطبري[4] و القرطبي[5] أن المعنى: اصْبروا على دِينكم، و صابروا: العدوَّ والكفارَ و المشركين.

فالصّيغةُ الصرفية (المُفاعلة)هنا تقتضي وجود طرفين حقيقة، الذين آمنوا و الكفار. فضلا عن خُصوصية المُصابرة؛ فهي باب من الصبر كما عبّر الزمخشري.

ـ فعُل و تفعّل : يَطْهُرن /يطّهّرن: قد سبق ذكرهما[6].

---

(١) من قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

(٢) زهرة التفاسير/ ١٥٦٠ـ١٥٦١.

(٣) الكشاف ١/ ٤٥٩.

(٤) تفسير الطبري ٤/ ٢٢٠ـ ٢٢١.

(٥) تفسير القرطبي ٤/ ٣٢٣.

(٦) سبق ذكره في الفصل الأول.

ـ فعل و افتعل كسب/ا كتسب

قال الإمامُ أبو زهرة: " وهنا سؤال لفظي: لماذا عبر سبحانه عن هذا الخير بقوله: ﴿لها ما كَسَبَتْ﴾ـ البقرة/ ٢٨٦ـ وعن الشر بـ ﴿اكتسَبَتْ﴾ [البقرة/ ٢٨٦]؟ مع أن الكسب يكون للخير وللشر كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا..﴾ [يونس/ ٢٧]، وقد أجاب عن ذلك الزمخشري بقوله : "في الاكتساب اعْتِمالٌ؛ فلمّا كان الشرّ مِمّا تشتهيهِ النفسُ، و هي مُنجذبة إليه و أمّارة به، كانت في تحْصيلهِ أعملُ و أجَدُّ؛ فجُعِلت لذلك مُكتسبة فيه ". وهذا التعليل قد يُشير إلى أنّ الذي تعتمله النفس و تجدُّ فيهِ، و تلحُّ و تستمرُّ عليْه، هو مَوْضعُ المؤاخذة، و الضئيل قد يكون موضع العفو؛ أيْ ما تفعله النفسُ من خيرٍ فكلهُ موضعُ ثوابٍ، قلّ أو جلّ، وذلك معنى صحيحٌ. ولكن هناك تعليلا آخر نراه، وهو أن التعبير بـ (اكتسب) يُفِيد معنى: الاعتمال، وهو ما يفعله الإنسان غير منساق إليه، و الطبيعة الإنسانية تنحو نحو الخير، و الشر ضد الفطرة و ضد الوجدان و الضمير، ومن يفعله يغالب فطرته ثم لايلبث إلا قليلا حتى يذوق شجرة الشر فينساق، و إن الإنسان ليرى ذلك في كل مَن يرتكب الجرائم ن فهو يبتدئ بالجريمة مغالبا نفسه ثم تطاوعه ثم ينساقُ.. أوّلُ جريمة يرتكبها بتعمّل، ثم يألف الارتكابَ فيكون سهلا، لذلك عبّر عن الشرِّ بالاكتساب؛لأنه ضدّ الفِطرة التي فطرَ اللهُ الناسَ عليها، و ضد الضّمير، و عبّر عَن الخيْرهُنا بـ (الكسب)؛لأنه الفِطرةُ "[1].

(١) زهرة التفاسير ١٠٩٢.

وقد فرق بينهما الإمام ابن جني في: باب في قوة اللفظ لقوة المعنى[1]..وهنا وافق الشّيخ أبوزهرة الزمخشريَّ في أصْلِ الفارق الدّلالي، مِن حيْثُ دلالة صّيغة (اكتسب) على الاعْتمال، غير أن الزمخشري رده إلى: اشتهاء النفس للشَّرِّ فهي مُنجذبةٌ إليْه أمّارةٌ به فهي في تحْصيله أعْمَلُ و أجَدُّ؛ لذلك فهي مُكتسبة فيه. وردّه الشّيْخ أبو زهْرة إلى : أنّ فاعل الشرّ يُغالِب الفِطرة..؛ لذا كان الاكتساب في الشرِّ، و الكسب في الخير لأنه الفطرة. وهكذا يَرْقى فِكْرُهُ إلى فكر الأئِمّة، ولا يفوته أنْ يشْهَدَ بصحة ماذكره الإمام الزمخشري". (ﷺ) أجمعين.

فاعل / فعّل ضاعَفَ و ضَعّف

قال في قوله تعالى: " ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ..﴾ الآية [النساء/ ٤٠]....ومعنى يُضاعفها أيْ يكون بدلها أمثالا كثيرة لها. وقد قيل: إن الفرق بين المضاعفة و التضعيف أن المضاعفة تكون بأضعاف كثيرة، و التضعيف يكون بضعفين اثنين..".[2]

قال أبو حيان الأندلسي ": الضِّعْف: مثل قدْرين متساويين... وفرق بعضهم بين: يضاعف ويضعّف، فقال: التضعيـــــف: لما جعل مثلين، والمضاعفة لما زيد عليه أكثر من ذلك".[3]

(١) قال ابن جني:"تأويل ذلك أن كسْبَ الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السَّيِّئة أمْرٌ يَسيرٌ و مُسْتصغرٌ... فزيدَ في لفظ فعْلِ السَّيِّئة وانتقص مِنْ لفظ فعل الحسنة لما ذكرنا". الخصائص ٣/ ٢٦٨.

(٢) زهرة التفاسير / ١٦٨٦.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٥٧.

أفعل /استفعل أوقد / استوقد

قال الإمام أبو زهرة: "...اسْتوْقد[1] معناها أوْقد، و الفرْق بيْنهُما أنّ الأوّلَ يكونُ بطلبٍ وجُهْدٍ؛ لأنّ السّينَ و التاءَ للطلب، وهي تفيدُ المعالجة في الإقادة، فلا يصل الإقادة إلا بجهد ومشقة."[2]

قال أبو حيان: "استوقد : استفعل، و هي بمعنى (أفعل) حكى أبو زيد: أوْقد واستوقد بمعنى، و مثله: أجاب واستجاب..أو للطلب، جوز المفسرون فيها هذين الوجهين من غير ترجيح، وكونها بمعنى أوقد قول الأخفش، و هو أرجح، لأن جعلها للطلب يقتضي حذف جملة حتى يصح المعنى، و جعلها بمعنى أوقد لايقتضيه ألا ترى أن يكون المعنى في الطلب: استدعوا نارا فأوقدوها، فلما أضاءت ما حوله لأنّ الإضاءة لا تتسبّب عن الطلب وإنما تتسبب عن الاتقاد. فلذلك كان حملها على غير الطلب أرجح"[3]. وهذافيه نظر! فلا مانع من الحذف لأن معنى الطلب الذي اقترن بالمشقة وبذل الجهد في معالجة الاتقاد مقصود؛وإن ذهاب النور بعد كل ذلك....أقوى في الدلالة على شدة تخبطهم " في ظلام، مُتحَيِّرين مُتحَسّرين على فوْت الضوْء، خائبين بعْد الكدْح في إحْياء النار" كما عبّرَ الزمخشري[4]، وهذا ما أشار إليه الإمام أبو زهرة..

---

(١) من قوله تعالى﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧].

(٢) زهرة التفاسير/ ١٤١.

(٣) البحر ١/ ٢١٢ وفي موضع آخر يصرح بأن"الاستيقاد بمعنى الإيقاد واستدعاء ذلك" السابق ١/ ٢٠٨.

(٤) قال الزمخشري:" فإن قلت: أين جواب لما؟قلت: فيه وجهان: أحدهما أن جوابه ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ. والثاني: أنه محذوف .. وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة، مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بها. =

الفصل الرابع
في المستوى التركيبي

التّضمين

تتعدد دلالات الفعل الواحد بتعدد الحروف[1] التي تتعاقب عليه ويتعدى بها، والسياقات المختلفة التى يرد فيها، والتضمين هو ذلك الكنز الدفين الذي يُلمِّحُ ولا يُصَرّح، يُومِيءُ و يُشِيرُ و لا يتكلم، له الأثرُ الكبيرُ في سَعَة لُغتِنا وبلاغتِها بصفة عامّة، وإثراء كتب التفسير..بصفة خاصّة، فالحرف يُعَدُّ مُوجِّهاً دَلالِياً مُهما للفعل من حيْثُ تعْديَتِهِ بحَرْفٍ إن كان يتعدى بنفسه أو تعديته بالحرف لأكثر من مفعول أو تعديته بحرف بدلا من آخر...إلخ؛ لذا تتعدّدُ معاني الفعل الواحد بتعدّدِ ما يتناوبُ عليْه من حروف ولا يقفُ الأمْرُ عند اختلاف المعنى بلْ أحيانا قد يتعدّاه إلى الضدّ.. و"اعتبار الحروف التي تُعَدّى بها الأفعال".[2] مِمّا اعْتدّه أبو هلال العسكري فيما يفرق به بين المعاني...

و مَجْمَعُ اللغة العربية بالقاهرة يُقِرُّ أنّ مَعْنى التضمين أن يُؤَدِّي فِعْلٌ أوْ ما في مَعْناه في التعبير مُؤَدَّى فِعْل آخر أو ما في معناه، فيُعْطى حكمه في التعدية و اللزوم. ويرى المجمع أنه قياسيٌّ لا سماعي بشروط ثلاثة: الأول: تحقق المناسبة بين الفعلين. الثاني: وجود قرينة

= هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار." الكشاف١/ ٧٣.

(١) المقصود هنا حروف المعاني فهي كما قال ابن سيدة في حروف المعاني"هي روابط تربط الأسماء بالأفعال و الأسماء بالأسماء "المخصص سفر١٤/ ٤٤-٤٥ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الفروق اللغوية / ٢٥.

تدلُّ على ملاحظة الفعل الآخر ويُؤْمنُ معها اللبس. الثالث: ملاءمة التضمين للذوق العربي.(١)

وقد وقع خلافٌ حول ما يكون فيه التضمين الفعل أمْ الحرْف؟ "مذهب الكوفيّين ومَن وافقهم أنّ حروفَ الجَرِّ قدَ ينوب بعضها عن بعض ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول إما بتأويل يقبله اللفظ أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف ومالا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحدَ الحَرْفيْن موضع الآخر على سبيل الشذوذ".(٢)

وقال ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) : " وظاهريَّة النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره. فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيشربون الفعل المتعدي به معناه هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه (رحمه الله) تعالى وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل لا يُقيمُون الحَرْفَ مَقامَ الحَرْف. وهذه قاعدةٌ شريفة جليلة المِقدار تسْتدْعِي فطنة و لطافة في الذهن، وهذا نحو قوله تعالى﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان/ ٦] فإنهم يُضَمّنون يَشْرَبُ معنى يَرْوِي فيُعَدُّونه بالباء التي تطلبها. فيكونُ في ذلك دليلٌ على الفعلين أحدهما بالتصريح به والثاني بالتضمن والإشارة إليْه

(١) مجلة المجمع١/ ٣٣ ، مطبعة بولاق ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني / ٤٦، وقارن بـ حاشية الأشموني على الصبان ٢/ ٢١٠.

بالحرْف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار وهذا من بديع اللغة ومحاسِنِها وكمالِها "[1]، ويرى أبو حيان أن القولَ بـ نيابة حروف الجرِّ بعضها عن بعْض ضعيف[2] و"أنّ تضمينَ الأفعال أوْلى مِن تضمين الحُروف"[3].

وفي المقابل نجد المبرد[4] يذكر أنّ حروفَ الجَرِّ يُبْدل بعضُها من بعضٍ وأنّ هذا كثير جدا، ومثله فعل ابن قتيبة[5] و ابن الشجري[6] و السيوطي[7] وغيرهم.

التعدية بـ الهمزة وبـ الباء: أذهبه / ذهب به

قال الإمام أبو زهرة: "وَعَبَّرَ (ﷻ) بقوله﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[البقرة١٧]؛ لأنّ الباءَ للمُلابَسَة و معناه هنا: ذهب الله تعالى عنهم آخذين نورهم الذي أوقدوا ناره، و قد ذكر

(١) بدائع الفوائد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت٧٥١هـ تح على بن محمد العمران ١/ ٤٢٣-٤٢٤ ط مجمع الفقه الإسلامي جدة .

(٢) البحر ١/ ٢٠١.

(٣) السابق ١/ ٤٤٠.

(٤) قال"وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع"الكامل تح د محمد الدالي ٢/ ١٠٠٠ط٢، مؤسسة الرسالة..

(٥) باب دخول بعض الصفات مكان بعض أدب الكاتب تح محمد الدالي / ٥٠٦وكتابه تأويل مشكل القرآن تح/ السيد أحمد صقر باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض ٥٦٥، المكتبة العلمية بيروت.

(٦) الأمالي ٢/ ٢٦٧.

(٧) الإتقان١/ ١٤٥عالم الكتب بيروت.

الزمخشري[1] الفرق بين أذهبه، وذهب به أن معنى أذهبه أزاله...ويقال: ذهب به إذا استصحبه ومضى معه وذهب السلطان بماله : أخذه فذهب به. والمعنى أخذ الله نورَهم فأمْسَكه...ومَضمُون هذا الكلام أن النور الذي أضاء لهم لا يذهبه الله تعالى، ولا يُضيّعه بلْ يحفظه ويمسكه ليهتدي به غيرهم ".[2]

وإذا كان الإمامُ أبو زهرة أخذ برأي الزمخشري وعقب بما يؤكد كلامه، فإن من علمائنا المُحْدَثين من رأى أنه لا فرق، يقول العلامة عبد الخالق عضيمة (رحمه الله): "قريء في الشواذ (أذهَبَ اللهُ نورَهُمْ)[3]، وهي بمعنى المشهورة، و دَرَجَ الزمخشري في الكشاف على الفرْق بيْن التعديَتيْن "[4].

ـ التعدية بـ الباء و بـ اللام آمن بـ /آمن لـ

قال في قوله تعالى : "﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[البقرة/ ٣]..الإيمان: التصديق، و يتعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتراف والإقرار و الإذعان و الخضوع، و يتعدى باللام ويتضمن حينئذ معنى الاستسلام أو الاستجابة كماقالتعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف/ ١٧].."[5] وفي موضع آخر قال : " وقوله تعالى ﴿أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ [البقرة / ٧٥] التعدية باللام؛ لأنها تتضمن معنى الاستجابة، و المعنى أتطمعون أن يؤمنوا

(١) الكشاف ١/ ٧٤.

(٢) زهرة التفاسير / ١٤٣.

(٣) قراءة اليماني الكشاف ١/ ٧٤.

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول الجزء الثاني/ ١٩ دار الحديث القاهرة.

(٥) زهرة التفاسير/ ١٠٣.

مستجيبين لكم. و آمنوا تتعدى بالباء إذا كان ما بعدها هو الذي يؤمن به كقوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ..﴾ [الحديد/ ٧] وتتعدّى باللام إذا كانتْ مُتضمّنة مَعنى الاسْتجابة للدّاعِي، وَمِن ذلِكَ ﴿فآمَنَ لَهُ لُوط﴾[العنكبوت/ ٢٦]...ولِذلِك كان التعدّي هنا باللام، إمّا لتضمّن الإجابة معنى الاسْتجابة، وإمَّا لأن اللام للتعليل، أي لاتطمعوا في إيمانهم لأجْل دعوتكم، فهُمْ مَيْئوسٌ من إيمانهم.."[١].

وقال : "...فالفرْقُ بيْن الإيمان بالرّسول و الإيمان له أنّ الأوّلَ يتضمن معنى التصديق، وإن لم يكن معه الإذعان والتسليم و الخضوع"[٢].

قال الزمخشري: "والإيمان: إفعال من الأمن... ثم يقال: آمنه إذا صدّقه، وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة. وأمّا تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقرّ وأعترف. ".[٣].

و قال أبو حيان : "..وضُمِّنَ مَعْنى الاعْتراف أو الوُثوق فعُدِّيَ بالباء و هو يَتعَدّى بالباء، و اللام ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴾ [يونس / ٨٣]، و التعْدِيَة باللام في ضمنها تعَدٍّ بالباء، فهذا فرْق ما بين التعديتين."[٤]

ـ التعدية بـ الباء و بـ إلى خلا بـ و خلا إلى

قال الإمام أبو زهرة: "..قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾[البقرة/ ١٤] فكانت كلمة (خلوا) متعدية بـ (إلى)، و أصْلها بـ (الباء)، يقال: خلا به، ولا يقال : خلا

(١) زهرة التفاسير ٢٧٥ـ٢٧٦.

(٢) السابق/ ١٥٣٢.

(٣) الكشاف ١/ ٣٨.

(٤) البحر المحيط ١/ ١٦٢.

إليه وإنما عدل عن (الباء) إلى التعدية بـ(إلى) للدلالة على معنى الانصراف، إذ كلمة خلا تتضمّنُ ذلك، و المعنى خلوا مُنصرفِين إليْهم، تاركين المُؤْمنين...فلا مجاز في التعدّي. ومهما يكن التخريج، فإنّ معنى خلوا بهم لا يُرادُ، لأنّ مَعْناه الانفراد، و التستر، و همْ لا يَتسَترون فيما بيْنهم....فلمْ تكن خلوة بهم، ولكن كانتْ خلوة معهم و إليهم."[١]

وحقق الطبريُّ هذه المَسْألة وبعْد ذكره اختلاف العلماءِ اختارَ تأويلَ بعضِ نحويِّ الكوفة ذلك المعنى.. (وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم)، وعقب بقوله: " وعلى هذا التأويل لايصلح في موضع (إلى) غيرُها؛ لتغيّر الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها، وهذا القولُ عندي أوْلى بالصّواب؛ لأنَّ لكلِّ حرفٍ من حُروفِ المعاني وجْهاً هو به أوْلى مِن غيْرِهِ فلا يَصْلح تحْويلُ ذلك عنه إلا بحُجّة.."[٢].

وإلى مثل ذلك ذهب أبو حيان من أن (خلا) إذا تعَدَّي بالباء احْتملَ مَعْنيَيْن: أحَدُهما الانفرادُ و الآخرُ السُّخرية، إذ يُقال في اللغة: خلوْتُ به، أي سخرتُ منه. وإذا تعدّى بـ(إلى) فلا يَحْتمِلُ إلا معنى صرف، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم و(إلى) هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينِهم.[٣] وفي موضع آخر قال " والأجود أن يُضمن (خلا) معنى فعل يُعدّى بـ (إلى)، أي انضوى إلى بعض أو استكان أو ما أشبهه؛ لأن تضمين الأفعال أولى من تضمين الحروف ".[٤]

(١) زهرة التفاسير / ١٣٥.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ١٣٠-١٣١.

(٣) البحر المحيط١/ ٢٠١.

(٤) السابق ١/ ٤٤٠.

و خلا عند ابن عاشور: " فعل قاصر ويُعدّى بـ (الباء و اللام ومن ومع)، بلا تضمين و يعدى بـ(إلى) على تضمين آب وخلُصَ، ويُعدّى بنفسِهِ على تضمين تجاوز وباعد، ومنه: افعل كذا وخلاك ذمّ."[1]

والخلاصة: عدي(خلا)بـ (إلى) دون (الباء) للدلالة على تضمينه معنى الانصراف...

ـ التعدية بـ على و بـ اللام أذلة على/ أذلة لـ

قال الإمام أبو زهرة: " وهنا يردُ سؤال لماذا تعدت كلمة ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة/ ٥٤]بـ (على) دون اللام؟ وقد أجاب الزمخشري في الكشاف[2] عن ذلك بقوله: "فيه وجهان: **أحدهما** ـ أن يضمن الذل معنى الحنوّ و العطف، كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل و التواضع ـ و **الثاني** ـ أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم، ونحوه قوله (ﷻ): ﴿.. أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ..﴾ [الفتح/ ٢٩]"[3].

وذكر أبو حيان[4] أذلة عَدّي بـ (على) و إن كان الأصل اللام –لأنه ضُمِّنَ معنى الحنوِّ و العَطفِ، و قال الألوسي[5] نحو ما ذكره الزمخشري.

---

(١) تفسيرالتحرير و التنوير لـ محمد الطاهر بن عاشور١/ ٢٧٣الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .

(٢) الكشاف ١/ ٦٤٨.

(٣) زهرة التفاسير / ٢٢٥٢.

(٤) البحر المحيط ٣/ ٤٢٥.

(٥) روح المعاني٣/ ١٦٣.

ـ التعدية بـ في و إلى أعاد في /أعاد إلى

قال الإمام أبو زهرة: "وعبّرَ (ﷻ) بقوله ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه/ ٥٥] فعدّى بـ (في) دون (إلى)؛ للإشارة إلى أنه لم يخرج من محيط الأرض فمنها خلق وفيها يحيى فهو مستمر فيها حيًّا وميّتاً ".(١)

وقال ابن عاشور: "دلّ قوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ على أن دفن الأموات في الأرض هو الطريقة الشرعية لمواراة الموتى سواء أكان شقا في الأرض أو لحدا، لأن كليهما إعادة في الأرض.. ".(٢)

سارع في/ سارع إلى

قال الإمام أبو زهرة : "وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة/ ٤١] معناه: الذين ينتقلون بحركات سريعة في دركات الكفر فينحدرون من دركة إلى دركة ويوغلون فيه إيغالا من غير موانة ولا تدبر...وهذا سر التعدية بـ (في) دون (إلى)؛ لأن التعدية بـ (إلى) تفيد الدخول فيه بعد أن لم يكن، أمّا التعدية بـ (في) فإنها لا تفيد الدخول بعد أن لم يكن، بل تفيد الانتقال في مداخله من حال إلى أسوأ منها في سرعة من غير تفكير".(٣)

---

(١) زهرة التفاسير/ ٤٧٣٩.

(٢) التحرير و التنوير ١٦/ ٢٤٠.

(٣) زهرة التفاسير/ ٢١٨٤.

وفي موضع أخر يقول : "و المسارعة: المبادرة، و تعدي الفعل هنا [1] بـ (في) مع أن المبادرة تتعدّى بـ (إلى)، و الحكمة في ذلك الإشارة إلى أنهم لا يدْخلون ابتداءً فيهم، بلْ إنهم فيهم بقلوبهم من قبل، فالمسارعة انتقال من حال إلى حال في صفوفهم أي أنهم..لا يخرجون عن دائرتهم "[2]

وجعلَ الفراء (في) في الموضع الأول بمعنى (إلى) دون فارق.[3]

وقال الألوسي : "و إيثار (في) على (إلى)؛ للإشارة إلى تمكنهم فيما يُسارعُون إليْه تمكن المَظروفِ في ظرْفِهِ و إحاطتِهِ بأعمالهم "[4].

نلاحظ في المواضع الثلاثة السابقة عند الإمام أبي زهرة تعدِّي الفِعْليْن نُعِيدُ و يُسارع بـ (في) دون (إلى)؛ وذلك أنّ التعدية بـ في لا تفيد استحداث الدخول بعد أن لم يكن، بل تفيد الانتقال في مدَاخله من حال إلى حال..

التعدية بـ اللام وبـ في

قال الإمامُ أبو زهرة في آية الصّدقاتِ[5]: "الزمخشري[6] (رحمه الله) تعالى بيَّنَ السبب في التعدية باللام في الأربعة الأولى، وهي الفقراء و المساكين و العامِلين عليها و المُؤلفة

(١) في قولـه تعـالى:﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [المائدة/ ٥٢].

(٢) زهرة التفاسير / ٢٢٤٤.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٠٥.

(٤) روح المعاني ٦/ ١٧٩.

(٥) قولـــه تعـــالى:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة٦٠].

(٦) يراجع الكشاف ٢/ ٢٨٣.

قلوبهم، وذلك لأنّ العطاءَ لهؤلاء لا يكون إلا بالتمليك و الاختصاص، فالفقراءُ و المساكينُ يأخذون بالتمليك ما يُعْطون، و كذلك العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم، و الأربعة الأخرى كانت التعدية بـ (في)، فقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة٦٠]، فإن هؤلاء لا يأخذون، فالرّقاب لا يأخذون بل الذي يأخذ مالك الرّقبة، و كذلك الغارمون لا يأخذون، إنما الذي يأخذ هو الدائن الغريم، و ابن السبيل لا يملك، و إنما يطعم ويؤوي و الله أعلم."(١)

مخالفة النسق الإعرابي و أثره في اختلاف الدلالة

قال الإمام أبو زهرة: "قيل للمستكبرين ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ولنتل الآية السابقة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل/ ٢٤] وسئل هذا السؤال نفسه للمتقين فقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل/ ٣٠] وهذا فرقٌ ما بين التقوى و الفجور....وقد كان الجواب غير الجواب الأول، و إن كان السؤال واحدا، بيد أن السؤال هنا للمتقين وهناك للمستكبرين، كان جواب المتكبرين يتناسب مع ضلالهم، و كان جوابُ المُتقين (خيرا)، أيْ أنزلَ خيْرا.. ولذلك نجد الجواب هنا منصوبا بالفعل، بينما نجد الجواب في الأولى مرفوعا، وهو أساطيرُ، و الفرق أن الجواب جواب مؤمنين يؤمنون بالتنزيل فيُجيبُون مِن غيْر تلعْثم

(١) زهرة التفاسير / ٣٣٤٩.

واضطراب، بينما الجواب في الأولى جواب كافرين بالتنزيل وفيه التواء و تلعثم؛لأنه باطل.."[1]

ليس المقصود هنا الدلالة اللفظية فقط، بل ما دلّ عليه موافقته للنسق الإعرابي أو عدمه، فالجواب الأول جاء مخالفا للنسق الإعرابي للدلالة على انتفاء الإيمان بالإنزال أصلا؛فلو كان جوابهم موافقا للنسق الإعرابي ـ بأن جاء منصوبا ـ لكان إيمانهم بالإنزال موجود بغض النظر عما أنزل...لكنه منتف أصلا. أما الجواب الثاني فجاء موافقا للنسق الإعرابي..ماذا أنزل ربكم؟ أنزل خيرا.للدلالة هنا على الإيمان بالإنزال أصالة.

(١) السابق/ ٤١٦٥ـ٤١٦٦.

الفصل الخامس
في المستوى الدلالي[1]

الفرق في الدلالة بالعموم و الخصوص:

الخشية / الخوف

قال الإمام أبو زهرة: "والفرق بين الخوف و الخشية أن الخوف: يكون من أمر حاضر، و الخشية: من أمر متوقع، وهي و إن كانت في الحاضر تكون خشية من قوي لما يكون منه في القابل"[2] وقال في موضع آخر: " الخشية: هي الخوف مع تعظيم المخشي ومحبته، فليست مرادفة لمعنى الخوف؛ *لأن الخوفَ أعـمُّ* من أن يكون من مرهوب معظم محبوب، أو مرهوب مبغض ذميم، أو فيه مهانة لا عظمة فيه؛ ولذلك عبر عن الأخيار بالنسبة لله تعالى بالخشية دون الخوف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ..﴾ [فاطر/ ٢٨]"[3].

وفي موضع ثالث يقول "(خشي) معناها خاف من أمر متوقع هو قريب من الواقع، فالفرق بين الخوف و الخشية، أن الخشية تكون من أمر متوقع قريب الوقوع أو واقع بالفعل..."[4]

---

(١) لقد كانت ملاحظات الأئمة متعددة واعتبارات التفرقة عندهم...مختلفة في أحيان كثيرة وكلها اجتهادات .. لها وجاهتها، و لما كانت بعض الألفاظ تتحمل أكثر من اعتبار واحد للفروق الدلالية ..آثرنا ذكر الأمثلة مع إبراز أهم اعتبارات التفرقة الدلالية بينها لاسيما مانص عليه صاحب تفسير زهرة التفاسير....

(٢) زهرة التفاسير/ ١٥١٠.

(٣) السابق/ ٢٢٠٣.

(٤) السابق/ ١٦٤٧.

قال الراغب: " الخشية: خوفٌ يشوبه تعظيم و أكثر ما يكون عن علم بما يُخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ".(١)

المرية / الشك

قال الإمام أبو زهرة: "والامتراء : هو الشك الذي يدفع إلى المِراء و المُجادلة المبنيّة على الأوْهام لا على الحقائق؛ولذلك قال الراغبُ الأصفهاني(٢) في معنى الامْتِراءُ ما نصه: المِرْية التردّدُ في الأمْر، و هو أخصُّ مِن الشكِّ، قالتعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ..﴾ [الحج/ ٥٥]، ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [هود/ ١٠٩].. والامتراءُ و المُماراة: المُحاجّة فيما فيه تردّد، و أصله من مَرَيْتُ الناقة إذا مسَحْتَ ضرْعَها للحلب..".(٣)

وقد نقلَ هنا عن الرّاغب سبب الفرق الدلالي بينهما

قال الألوسي: "..المرية: التردّد في الأمْر وهو أخصّ مِن الشّكِّ".(٤)

حـاق / أحـاط

قال الإمام أبو زهرة : "﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ [النحل/ ٣٤]، أي أحاط بقلوبهم عملهم السيء، حتى أصبحوا لا يدورون إلا في فلكه، و استعمال (حاق) بمعنى أحاط لا يكون إلا في السُّوء، فالحَيْقُ لا يكون إلا في الشرِّ".(٥)

---

(١) المفردات / خشي.

(٢) السابق / مرى/ ٤٦٧.

(٣) زهرة التفاسير/ ١٢٥١.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني لـ محمود الألوسي أبو الفضل ٢٥/ ٢٦ .

(٥) زهرة التفاسير/ ٤١٧١.

وذكر ابن فارس أن (حيق) كلمة تدل على نزول الشيءِ بالشيءِ، يقال أحاقَ به السُّوءُ يَحِيقُ..[١]، و(حوط) كلمة تدلُّ على الشَّيءِ يُطيف بالشيءِ.[٢]

قال أبوهلال: "ولا يُقال حاقَ إلا في نزول المَكروه فقط".[٣]

لدن / عند

قال الإمام أبو زهرة: "و﴿ لَدُنّا ﴾[٤] بمَعْنى عندنا[٥] ولكنها أخصّ من (عند)؛ لأنها تدلّ على الابتداء لنهاية، أي أنّ اللعبَ من لدنا مبتديء، و ذلك لا يسوغ ولا يجوز".[٦]

وقال في موضع آخر: " و (لدنك)، أي من عندك، و هي تكاد تكون في اللغة العربية خاصّة بالعنديّة لدَى الذاتِ العليّة".[٧]

والنص الأول هو كلامُ الرّاغب[٨] فهي عنده أخصّ من عند..

---

(١) مقاييس اللغة / حيق ٢/ ١٢٥.

(٢) السابق/ حوط ٢/ ١٢٠.

(٣) الفروق اللغوية / ٣٠٤.

(٤) من قوله تعالى ﴿ لوْ أردْنا أنْ نتخذ لهْوا لاتخذناه مِنْ لدنا إنْ كنا فاعِلين﴾ الأنبياء/ ١٧.

(٥) عدّهما الأصمعي من المترادف ينظر مااختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي تح ماجد الذهبي / ٦١ دار الفكر دمشق١٤٠٦هـ.

(٦) زهرة التفاسير / ٤٨٤٢.

(٧) السابق / ٤٤٤٠.

(٨) قال:"(لدن) أخصّ من (عند) ؛لأنه يدل على ابتداء نهاية نحو: أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها فيوضع لدن موضع نهاية الفعل" المفردات / ٤٤٩/ لدن.

وذهب أبوهلال إلى أنّ لدن لا يَتمَكّنُ تمكّن عِند؛لأنك تقول : هذا القول عندي صواب ولا تقول لدنّي صواب وتقول: عندي مالٌ وإن كان غائبا عنك، ولا تقول لدني مال إلا إذا كان حاضرا لأنّ لدنّي هو لِما يَليك عندك..[1]

ونقل ابن الشجري[2] (ت٤٥٢هـ) رأي أبي هلال كما نقل رأي أبي العلاء المعري(ت٤٤٩هـ) الذي رأى عدم الفرق، ثم قال : وقول أبي هلال أثبت، ورأى ابن هشام[3] أن ما ذهب إليه أبو هلال و ابن الشجري أولى...

العملُ / الصنع

قال الإمام أبو زهرة : "﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[4] [المائدة/ ٦٣]. ذمّ الله تعالى صنيعَهم، وهو عملهم الشر بدقةٍ وإحكام، لا بمقتضى الغرائز الحيوانية من غير تفكير، وفي الماضي، وما هم عليه في الحاضر، وما يكون منهم في المستقبل وهنا يتكلّم المُفسّرون *في التفرقة* بين ذمّ أعمالِ اليهود عامة من دهماء وغيرهم بقوله تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[5] [المائدة/ ٦٢] وذمّ أعمالِ الرّبّانيّين والأحْبار بقوله تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ

(١) الفروق اللغوية / ٢٩٨.

(٢) أمالي ابن الشجري تح د/ محمود الطناحي١/ ٣٤١-٣٤٢، مكتبة الخانجي ط١ ١٤١٣هـ.

(٣) مغني اللبيب لابن هشام ١/ ١٣٦ دون تحقيق.

(٤) من قوله تعالى:﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة/ ٦٣].

(٥) من قوله تعالى:﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة/ ٦٢].

يَصْنَعُونَ﴾ . وخلاصة هذه التفرقة: أنّ العملَ يكونُ عادة بانبعاث شهْوةٍ مِن طمَعٍ في مالٍ، أو لذة جسَدٍ. أمّا الصّنيعُ، فإنه يكونُ بمهارةٍ وتدبير وتعرف للغايات والنتائج ولو كانت آثِمة، وأن الصنيعَ يكونُ بالعمَل وغيْرِهِ، ومِنْ أجْل مَنْ قال في التفرقة فخرُ الدّين الرّازي في الكبير[1]، فقد قال موضّحا ما ذكره الزمخشري وغيره، والمعنى أن الله تعالى استبعد من علماء أهل الكتاب أنهم ما نهوا سِفلَتَهُم وعامّتهم عن المعاصي وذلك يدلّ أنّ تارك النهي عن المُنكر بمنزلة مرتكبه؛لأنه تعالى ذمّ الفريقين في هذه الآية على لفظ واحد، بل نقول: إن ذمَّ تارك النهي عن المنكر أقوى؛ لأنه تعالى قال في المُقدِمين على الإثم والعدوان وأكل السحت: (لبئس ما كانوا يعملون)، وقال في العلماء التاركين للنّهي عن المُنكر: (لَبئس ما كانوا يصْنعون)، والصُّنع أقوى من العمل؛ لأنّ العملَ إنما يسمّى صناعة إذا صار مُسْتقرا راسخا مُتمَكّنا فجعل جُرْمَ العاملين ذنبا غير راسخ، وذنب التاركين للنهى ذنبا راسخا، والأمر في الحقيقة كذلك...".[2]

وهكذا يربط الإمام أبوزهرة بين قوة الصنع وقوة ذم تارك النهي عن المنكر

وفي الفرق بينهماقال أبوهلال: " الصُّنعَ : ترتيبُ العملِ وإحكامِهِ على تقدَّم علم به وبما يوصلُ إلى المُراد منه، ولذلك قيلَ للنجّار: صانعٌ ولا يُقال للتاجر صانعٌ.. وفي الصناعة

(١) قال الفخر الرازي:"و الصنع أقوى من العمل ؛لأن العمل إنما يُسمّى صناعة إذا صار مستقرا راسخا متمكنا، فجعل جرم العاملين ذنبا غير راسخ، وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا.." تفسيرالفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) ١٢/ ٤٤ .

(٢) زهرة التفاسير / ٢٢٧٤-٢٢٧٥.

معنى الحِرْفة التي يتكسّب بها وليْس ذلك في العمل، والصنع أيضا مضمن بالجودة، ولهذا يقال: ثوب صنيع..."[1]

الجسْـم / الجَسَد

قال : "و﴿ جَسَدًا ﴾ [2] أي جسْماً،...و الجسَدُ لمْ يَكن فيه حياة ككل الأجسام، و قد فهم بعض الناس من كلمة جسد أنه كان فيه حياة، و الحقيقة أنَ كلمة جَسَد تكونُ بمعنى جسم في كل دلالاتها، وسواء أكان فيها حياة أم لم تكن، و إن استعمال جسد في التعبير عن الجسم كثير في القرآن، و لقد قال الأصفهاني في مفرداته : "والجَسَدُ كالجسْم، و لكنه أخصُّ، و قال الخليلُ: لا يقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه، و أيضا فإنَّ الجَسَدَ ما لهُ لوْنٌ و الجسْم يُقال لما لا لونَ لهُ كالماءِ و الهواءِ،..."[3]، و الخلاصة أن الجسدَ بمعنى الجسم، وأنه لا يُشترط في الجَسَدِ أنْ تكونَ فيهِ حياةٌ، وأنه يُطلقُ على الجماد وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨] أي ما جعلناهم جماداً لا يحتاجُ غذاءً بلْ جَعَلناهُم أحْياءً يأكلون الطعامَ....ولقد بَيَّنَ اللهُ تعالىَ بطلانَ عبادةِ العِجْل وبيان أنه ليْس بحيٍّ فقال تعالت كلماته: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ وفي آية أخرى..﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾

(١) الفروق / ١٣٥.

(٢) من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف١٤٨].

(٣) المفردات/ جسد/ ٩٣.

[طه/ ٨٩] وإن ذلك دليلٌ على أنه لا حياة في هذا الجَسَد، وإنما هو جمادٌ قد ذكرَ القرآنُ أصله وهو الحُليّ"[١].

وقد ذهبَ الرّاغِبُ إلى خصوصيّة الجَسَد، ناقلاً عن الخليل جانبيْ هذه الخصوصِيّة، الجانب الأوّل: أنّ الجَسدَ خاصٌّ بالإنسان..الثاني: أنّ الجَسَدَ يقال لِما له لوْنٌ والجسْمُ يُقال لما ليْس له لونٌ، أمّا الإمام أبو زهرة فقد رأى أنّ كلمة جسَد تكون بمعنى جسم في كل دلالاتها وسواء أكانَ فيها حياة أم لا.

و لكن مَن يتتبع مواضع الكلمتين في القرآن الكريم يلحظ أن ثمة فارقا بينهما : فكلمة (الجسم) وردت في موضعين.. الأول: في بيان مؤهلات طالوت ليكون ملكاً على بني إسرائيل قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾[البقرة / ٢٤٧]، الثاني: في بيان اهتمام المُنافِقينَ بأجْسامِهم دون قلوبهم، واهتمامِهم بالظاهر دون الباطن قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ ﴾ [المنافقون/ ٤]. ونلاحظ أنّ الآيتيْن تتحدثان عن الأحْياء، فطالوت ملك حيّ، والمنافقون أحياء يتكلمون، بلْ إنّ حالَ الجسْم في المَوْضعيْن يتفوّق على غيْرهم..، أمّا كلمة(جَسَد) فقد وردتْ أربعَ مرات في القرآن، مرّتين في وصْف العِجْل الذي صنعَهُ (السّامِرِيّ) من الذهب لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [الأعراف / ١٤٨]

(١) زهرة التفاسير/ ٢٩٥٤.

وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه / ٨٨].

وأمّا كلمة (الجسد) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص/ ٣٤]، فقال أبوحيان : "لمْ يُبَيِّن الله الفتنة ماهي؟ ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان، و أقرب ما قيل فيه : ... الجَسَدُ المُلقى: هو المَوْلود شق رجل ـ مولود جسد مشوه ميت ـ، وقال قوم: مرض سليمان مرضا كالإغماء حتى صار على كرسيه جسدا، كأنه بلا روح.."[(١)]، و(شق الرجل) هو ماجاء عنه (ﷺ) في صحيح البخاري[(٢)]، و الموضع الرابع ما جاء في وصف الرسل وسبق تفسير الشيخ أبي زهرة له بقوله ما جعلناهم جمادا لا يحتاج غذاء، فقد وضع (جمادا) مقابل كلمة جَسَدا: في بيان أنَّ الأنبياء كانوا رجالاً أحياء، أجسام متحرّكة ، ولمْ يكونوا أجساداً هامدة، مِن هذا نعْلم أنّ كلمة (جسد) في السّياق القرآني وردت صفة للجماد وللميت ونُفِيَت عن النبيِّ الحيِّ المُتحرّك.

(١) البحر المحيط ٧/ ٣٨١.

(٢) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال ثم قال سليمان بن داود (عليهما السلام) لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله .فلم يقل إن شاء الله فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، و الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون" صحيح البخاري باب من طلب الولد للجهاد ٣/ ١٠٣٨ ط٣دار ابن كثير بيروت١٩٨٧.

الأجْــلُ / الجنايــة

قال الإمام أبوزهرة: "...أجْلُ هنا[1] معناها جناية، وقد فسّرَها كذلك اللغويّون في معاجِمِهم، فذكر ذلك ابنُ منظور في لِسان العرَب، وذكرَه الأصفهاني في مفرداته، فقال: "و الأجْلُ الجناية التي يُخافُ منها آجلا، فكلُّ أجْلٍ جناية، و ليْس كلُّ جنايةٍ أجْلا، يقال فعلت كذا من أجله، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾أي جرّاء ذلك "[2]، و قد فسّر الأجل بالجناية أكثر المفسرين وقد حقق الطبري الأصلَ اللغويّ[3].. وقد أشار *الأصفهاني* إلى معنى جدير بالنظر و ترديدِه، و هو أنّ الأجْلَ هو الجناية التي يُخاف منها آجلا، أي تكون لها عواقب وخيمة على الأشخاص، أوْ على الجماعات، أي الجناية التي لا تنتهي مغبّتُها بوقت وقوعها، بل يكون لها آثار مؤجّلة بعدها، إن لمْ تُعالج تلك الآثار."[4]

---

(١) من قوله تعالى﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا .....﴾[المائدة / ٣٢].

(٢) المفردات / أجل / ١٢.

(٣) قال: " يعني تعالى ذكره بقوله: مِنْ أجْلِ ذَلِكَ من جَرّ ذلك وجريرته وجنايته، يقول: من جرّ القاتل أخاه من ابني آدم اللذَين اقتصصنا قصتهما الجريرة التي جرّها وجنايته التي جناها، كتبنا على بني إسرائيل. يقال منه: أجَلْتُ هذا الأمر أي جررْته إليه وكسبته آجُلُه له أجْلاً، كقولك: أخذته أخذا، ومن ذلك قول الشاعر:.

وأهْلِ خِباءٍ صَالحٍ ذاتُ بَيْنِهِمْ .. قَد احْتَرَبوا فِي عاجِلٍ أنا آجِلُهْ

يعني بقوله: أنا آجله: أنا الجارّ ذلك عليه والجاني..." جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٦/ ٢٠٠

(٤) زهرة التفاسير/ ٢١٣٦.

الرّأفة / الرّحْمة

قال: " قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة/ ١٤٣] الرّأفة في معناها اللغويّ أشدُّ من الرّحْمة، أوْ أعْلى منها، وإنّ هذيْن الوَصْفيْن مِن صفات الذات العليّة أوْ مِن أسْماء الله تعالى، وهما مُتغايران وإنْ لمْ يكونا مُتعارضيْن، بلْ هما في حقيقتِهما مُتلازمان، فحَيْثما كانت الرّأفة كانت الرّحمة لا مَحالة، فالله رحيمٌ بعباده في غفران ذنوبهم، وفى نِعمِه عليْهم ظاهرة و باطنة،....والرّأفة في أن الله يُريد توبة العاصي، ولا يُريد به خسارا، وفي الهداية إلى الصّراط المُسْتقيم، فيعين من كتب عليه الخروج من الشقاء، وهكذا نجد الرّحمةَ والرّأفةَ مُتقاربتيْن، وإنْ كانتا مُتغايرتيْن كتغايُر الأخِ عن أخيه، وإنّ الرّأفة رَحْمةٌ صافية لا ألمَ فيها، أمّا الرّحمةُ فقد يكون فيها ألمٌ كالرّحمة بالمريض في أخذ الدّواء المُرّ."(١).

قال أبو هلال العسكري: " الفرْق بيْن الرّأفة والرّحْمة: أنّ الرّأفة أبلغ من الرّحْمة ولهذا قال أبوعبيدة: إنّ في قوله تعالى: ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة/ ١١٧] تقديما وتأخيرا أراد أنّ التوْكيد يكون في الأبْلغ في المَعْنى، فإذا تقدّم الأبْلغ في اللفظ كان المعنى مؤخرا."(٢)

قال أبو حيان: " الرّأفة والرّحمة: مُتقاربان في المَعْنى. وقيل: الرّأفة أشدُّ الرَّحْمةِ(٣).

---

(١) السابق/ ٤٤٥.

(٢) الفروق اللغوية / ١٩٦.

(٣) البحر المحيط ١/ ١٩٥.

وقال ابنُ عاشور: "الرأفة مُفسَّرة بالرّحْمة في إطلاق كلام الجُمهور من أهل اللغة وعليْه دَرَجَ الزجّاجُ و خصّ المُحققون من أهل اللغة الرّأفة بمعنى رحمة خاصّة، فقال أبو عمرو بن العلاء الرّأفة أكثر من الرّحمة أي أقوى، وهو معنى قول الجوهري[1]: الرّأفة أشدُّ من الرّحْمةِ "ونقل عن غيرِهِ أنّ" الرّأفة أخصُّ من الرّحْمة و لا تكادُ تقع في الكراهية و الرّحْمة تقعُ في الكراهية لِلمَصْلحَةِ...ورُبّما كان..بين الرأفة و الرحمة عموما و خصوصا مطلقا ".[2]

وقال الراغب: الرأفة الرحمة [3].

النبأ / الخبر

قال الإمام أبو زهرة : "والأنباء جمْعُ نبأ، و النّبأ: هو الخبَرُ العظيم الشأن، فليْس كُلُّ خبَرٍ يُسمّى نبأ "[4]، وفي موضع آخر يقولُ: " النّبأ: الخبَرُ الخطيرُ ".[5]

قال الراغب : "النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، و لايقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة"[6] ولأن في النبأ معنى عظيمَ الشأنِ قال أبو هلال: ولهذا يُقال سيكون لفلانٍ نبأ، و لا يُقال خبر بهذا المعنى، فضلا عن أنّ النبأ يكون للإخبار بما لا يَعْلمُه المُخبَر، والخبر يكون بما يعلمه وبما لا يعلمه[7].

(١) قال الجوهري: " الرأفة أشد الرحمة" الصحاح/ رأف ٤/ ١٣٦٢.

(٢) تفسيرالتحرير و التنوير لـ محمد الطاهر بن عاشور٢/ ٢٥ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

(٣) المفردات / رأف / ٢٠٨.

(٤) زهرة التفاسير/ ١٢١٦.

(٥) السابق/ ٣٤١٦، وقارن بـ/ ٤٥٦٧.

(٦) المفردات / ٤٨٠/ نبأ.

(٧) الفروق اللغوية / ٤١ .

الإنفاق / الإنفاد

قال : " و الإنفاق[1] كالإنفاد، بيْدَ أنّ الإنفادَ يرْمي إلى إنهاء المال، و ألا يُبْقي مِنه شيئا، و الإنفاقُ يُبقي."[2]

قال الراغب: "نفقَ الشيءُ مَضَى و نَفِدَ"[3]، وفي موضع آخرَ قالَ : " النفادُ: الفنـاءُ ".[4] و يمْكن على ذلك القولُ كلّ إنفادٍ إنفاق وليس كلُّ إنفاقٍ إنفاد.

الوُسْع / الطاقة

قال الإمام أبو زهرة : "وليْس معنى الوُسْع هو الطاقة، فإنّ الفرْقَ بيْنهما كبيرٌ؛ لأنّ الطاقة: هي أقصى قدرة المكلفِ بحَيْث لا يَسْتطيع الأمْر إلا بمشقة وجهْد، أمّا الوُسْع: فهو قدرة المكلف على الأمر، مع بقاء فضل من جهده، بحيث لا يستغرق العمل أقصى قدرته، وقد وضح ذلك المعنى في إيجاز بليغ فجعل مناطَ التكليف ما تسعه قدرةُ المُكلّف، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة/ ٢٨٦] تنبيهاً إلى أنه لا يكلف إلا دون ما تنوءُ بهِ قدرته و إذا كان الأمرُ كذلك فكلُّ التكليفات الشرعية يكون في الوسع القيام بها بمعنى أنها تؤدّى بيُسْر وسهولة ولا مشقة فيها لَمَنْ ذاقَ طعْمَ الطاعة، و فهْم معناها.."[5] *وفي موضع آخر يقول*[6]: " قال الزمخشري في تفسيره: " الوُسْع ما يَسَعُ

---

(١) من قوله تعالى﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة/ ١٩٥].

(٢) زهرة التفاسير / ١٠٧.

(٣) المفردات/ نفق/ ٥٠٢.

(٤) السابق/ نفد/ ٥٠٠.

(٥) زهرة التفاسير/ ٨٠٨-٨٠٩.

(٦) السابق / ١٠٩٠ .

الإنسانَ ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه، و يتيسر عليه دون مدى الطاقة و المجهود..."[1] ". *ثم يلخص الفرق فيقول* : "وهذا الكلام يستفاد منه أنّ *الوُسْعَ غيرُ الطاقة، فالطاقة هي : غاية المَجْهود و أقصاه، وما يفعله الإنسان قادرا عليه ولكن في تعب وجهد، والوُسع: ما يكون في الإمْكان ولكن يكون بعد الأداء سعة من قدرة على أداء غيره، ولكن لا يؤدي النّزيادة إلا بجهد،* ولا يفهم من هذا أن تكليف الوسع لا تكون فيه مشقة قط، بل إن كل تكليف هو أمر بما فيه كلفة، و هي المشقة؛ *وعلى ذلك تكون التكليفات الشرعية لها ثلاث خواص ملازمة*: وهي أن فيها مشقة محتملة وأنها تكون في الوسع والقدرة من غير حرج ولا ضيق، و أنها تكون من غير مجْهود شديدٍ يكون أقصى الطاقة.تلك هي خواص تكليف الله تعالى لكلِّ نفسٍ كما تدلُّ عليْه الجمْلة السّامية"[2].." . *ونلاحظ هنا إفادته من بيان الفرق الدلالي...في استنباط خواص التكليفات الشرعية، وفي ذلك تقريب من معنى النص السامي.*

السخط / الغضب

قال: " السخط ليس هو الغضب المجرد، بل هو الغضب الذي يصحبه أو يترتب عليْه العقاب ".[3]

قال أبوهلال : " الفرْق بين الغضب والسُّخط: أنّ الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير، يقال سخط الأمير على الحاجب ولا يقال سخط الحاجب على الأمير ويستعمل الغضب فيهما،

(١) الكشاف ١/ ٣٣١.

(٢) زهرة التفاسير / ١٠٩٠، وقارن بما ذكره الراغب في المفردات / طوق/ ٣١٢، و وسع / ٥٢٣.

(٣) السابق/ ١٤٨٧.

والسخط إذا عديته بنفسه فهو خلاف الرضا يقال رضيه وسخطه وإذا عدّيْتَه بعلى فهو بمعنى الغضب تقول سخط الله عليه إذا أراد عقابه."[١]

من كلام الإمامين أبي زهرة وأبي هلال يفهم أن بينهما عموما وخصوصا مع الفارق عند كل منهما، عند أبي زهرة كل سخط غضب وليس كل غضب سخط لأن السخط = غضب + عقوبة، وعند أبي هلال عموم الغضب يتمثل في كونه يقع من الصغير و الكبير أما السخط فخاص بوقوعه من الكبير....وأرى أن هذا يمكن رده إلى ما ذكره الشيخ أبو زهرة؛لأن العقوبة لايتمكن من إيقاعها إلا من له الغلبة..

العداوة / البغضاء

قال: " و العداوة : هي البَغضاء المُعلنة التي يُناوئ فيها المُبْغض مَن يُبْغضه جهارا و البغضاء: هي الكراهية المُسْتكنة و المُعْلنة، و عِندي أنهما معنيان مختلفان، فالعداوة المناوأة الظاهرة، و المقاومة المعلنة، و البَغضاء هي الكراهية التي تكون في القلب، فهما معنيان متغايران، و إنْ كانا مُتلازمين أحْيانا، فلا عداوة من غير بغضاء، و لكن قد يفترقان فتوجد البغضاء من غير إعْلانها، أي من المناوأة و المقاومة ".[٢]

قال أبو حيان : " والعداوة أخصُّ من البغضاء، لأن كلَّ عدوّ مُبغض، وقد يُبغض من ليس بعدوّ "[٣] وكذا قال ابن عطية [٤]، و الألوسي[٥] وغيرهم.

ومعنى كلام أبي زهرة أن كل عداوة فيها بغضاء و ليس كل بغضاء فيها عداوة.

---

(١) الفروق اللغوية / ١٣٠.

(٢) زهرة التفاسير / ٢٢٨١.

(٣) البحر ٣/ ٥٣٦.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٢١٦.

(٥) السابق ٦/ ١٨٣.

الظلم / الهضم

قال في قوله تعالى : "﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه / ١١٢]..أي يعطون أجرهم موفورا غير منقوص.... الظلم: النقص من العمل أو ثوابه، و الهضم معناه: الكسر و قد خاضَ المفسرون في الفرق بينهما، و حيثما اجتمعا وجب ذكر الفرق؛ لأنه يجبُ أنْ يكونَ لكلٍّ معنى خاصا به مؤسّسا عليْه و التأسِيسُ أوْلى مِن التأكيد.

ونقرّب الفرقَ بينهما فنقول: إنّ الظلمَ هنا: هو النقص من الأعمال التي يستحق عليها الثواب....، و أمّا الهضمُ[1]: فهو ألا تعطي الأعمالُ حقها فتكسَرُ، كما يُكسَرُ الطعام في قلب الهضيم و الله أعلم. "[2]

وذكر أبو هلال "أنّ الهَضْمَ: نقصان بعض الحَقّ، ولا يقال لَمَنْ أُخِذَ جميعُ حقه قد هُضِم. والظلم: يكون في البعض والكل، وفي القرآن﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ أي لا يمنع حقه ولا بعض حقه، وأصل الهضم في العربية النقصان، ومنه قيل للمنخفض من الأرض هضم، والجمع: أهضام."[3]

(١) قال ابن فارس في (هضم): "أصل صحيح يدل على كسر وضغط وتداخل وهضمت الشيء هضما: كسرته "المقاييس / هضم ٦/ ٥٥.

(٢) زهرة التفاسير/ ٤٧٩٣.

(٣) الفروق اللغوية / ٢٣١-٢٣٢.

العَمَى / العَمَه

قال الإمام أبو زهرة في قوله تعالى: " ﴿يَعْمَهُونَ﴾[البقرة/ ١٥]، والعَمَهُ مثل العَمَي، إلا أنّ العَمَي يكون فى البَصَر والرّأي، أمّا العَمَهُ فإنه يكون فى الرأي بمعنى الحيرة، فمعنى يعْمَهُون: يتحيّرون، فهُم في حيرة دائمة مُسْتمرّة..!"[١]

وقال ابن فارس في(عمه): ".. أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على حَيرة وقِلّة اهتداء. قال الخليلُ: عَمِهَ الرّجل يَعْمَهُ عَمَهاً، وذلك إذا تردَّد لا يَدْرِي أيْن يتوجَّه ".[٢]

وقال في(عمي): " أصلٌ واحدٌ يدلُّ على سَترٍ وتغطية. مِن ذلك العَمَى: ذَهاب البصر مِن العَيْنيْن كلتيْهما ".[٣] ومن كلام الشيخ أبي زهرة يظهر عموم العمى وخصوص العمه وقال الرّاغب: "العَمَهُ : التردّد في الأمر من التحيّر.." و " العَمَى يُقال في افتقاد البَصَر و البَصِيرة، و يُقال في الأوّل أعْمَى و في الثاني أعْمَى و عَمٍ"[٤].

الفرق باختلاف وصف كل منهما

الحَسَـد / الغِبْطة

قال الإمام أبوزهرة: " الحَسَدُ[٥]: هو الألمُ الشّديدُ لِما يُصيب الناسَ من خيْرٍ، وتمنّي زواله، ثمّ العمل على زوالِهِ...و الفرْقُ بَيْنه وبيْن الغِبْطة أنْ الغِبطة: السرور بما ينالُ الغيرَ

(١) زهرة التفاسير/ ١٣٨.

(٢) مقاييس اللغة/ عمه.

(٣) السابق / عمي.

(٤) المفردات ٣٤٨/ عمه و عمي.

(٥) من قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النساء/ ٥٤].

من خيْرٍ، وذلك وصفُ أهل الإيمان"[١]. وفى موضع آخر يقول: " الحاسِدُ يتمنى الزّوالَ و الغابط يتمنى الدّوامَ و الإتباع".[٢]

قال أبو هلال: " الفرْقُ بين الغَبْطِ والحَسَدِ: أنّ الغبْطَ هو أنْ تتمنَّى أنْ يكونَ مثل حال المَغْبوط لكَ مِنْ غير أنْ تريدَ زوالها عنه، والحَسَدُ أنْ تتمنّى أنْ تكونَ حالُه لك دونه؛ فلهذا ذم الحسد ولم يذم الغبط".[٣]

الفقيرُ / المِسْكين

قال الإمام أبو زهرة : " قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة/ ٦٠] لا تفرّق اللغة بين الفقراء والمساكين في الجُملة، فكلاهما لا مال له يكفيه وأهله بالمعروف ولكنهما اجتمعا في هذه الآية على أنهما صِنفان مختلفان، يَتَمَيّز كلُّ واحِدٍ منهما عن الآخر، وعند الاجتماع بين لفظين معناهما مُتقارب يُخَصُّ كلّ واحدٍ منهما بمعنى ينفردُ به عن الآخر، وقد اختلفَ الفقهاءُ في تعريف الفقير ليتميّز عن المسْكين، واختلافهم بلا ريْب أدّى إلى اختلافهم في معنى (المسكين). *فقال الأكثرون* الفقيرُ: ضدّ الغنيّ، وهو مَن لا يَمْلِك نصابا... والمِسْكينُ: من أسْكَنتْه الحاجَة وأذلته، أي أنه دون الفقير حالا، وقيل العكس، ولكن الأكثرين على الأول... ورُوِيَ أنّ المِسكين : هو المُتَجَمِّل الذي لا يسأل الناس، ولا يَلتفِتُ الناس إليه... روى أبو هريرة[٤] أنه (ﷺ) قال: " ليْسَ المِسْكينُ بهذا

(١) زهرة التفاسير/ ١٧١٧ .

(٢) السابق/ ٣٦١.

(٣) الفروق اللغوية / ١٢٨.

(٤) في صحيح مسلم:(باب المسكين الذي لا يجد غنى و لايفطن له فيتصدق عليه) تح/ محمد فؤاد عبد الباقي٢/ ٧١٩ .

الطوّاف الذي يطوفُ على الناس فتردّه اللقمة واللقمتان والتمْرة والتمرتان" قالوا: فما المِسْكين يا رسول الله ؟ قال: " الذي لا يجد غنى يُغنيه، ولا يُفطَنُ له فيُتصدّق عليه، ولا يَسْألُ الناسَ شيْئًا ".وقد اتفق الفقهاء على أنهما يُعطيان من الصّدقات، وإن كنتُ أرى أنّ المِسكين أسوأ حالا من الفقير، فإن لم يَكْفِ ما يُعْطى لهما معا، فإنَّ المِسْكينَ يكون أوْلى بالعَطاء."[1]

وفي موضع آخر قال: " المَساكين هنا [2] جمع مِسْكين، و ليْس هو المِسْكين القسيم للفقير الذي هو أدْنى حالا من الفقير على قول آخرين، إنما المُرادُ الضّعيف الذي لا قوّة و لا سَطوة لِقلّةٍ في العَدَد، أو الاستخذاء أمام قوِيّ غالب، والمراد: لقوم ضعفاء كانوا يعملون في البحر بحارة أو تجارا، و لم يكونوا ذوي قوة تغلب أو تقهر".[3]

وبعد عرض هذه الآراء.. اختار الإمام أبو زهرة كون المسكين أسوأ حالا من الفقير وأنه أولى بالعطاء، وإن كانا قد تشاركا عنده في الاحتياج لأنهم الضّعفاء الذين لا قوّة و لا سَطوة. ووافق ذلك ماذكره الراغب فالمِسكين "هو الذي لا شيء له، وهو أبْلغ مِن الفقِير ".[4] وممن ذهب إلى ذلك أبوعمرو بن العلاء، حيث قال: "الفقير: الذي له ما

(١) زهرة التفاسير / ٣٣٤٤.

(٢) في قوله تعالى:﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾ [الكهف/ ٧٦].

(٣) زهرة التفاسير/ ٤٥٦٨.

(٤) المفردات / سكن/ ٢٣٧،و فسر قوله تعالى ﴿ أمّا السّفينة فكانتْ لِمَساكِين ﴾ [الكهف/ ٧٦] بأنه جعلهم مساكين بعد ذهاب السفينة، أو لأن سفينتهم غير معتد بها ...

يأكله، قال: والمسكين: الذي لا شيء له"[1] ونحو ذلك قال يونس بن حبيب [2] و الفخرالرازي.[3]

و في الفروق اعتبار السؤال وعدمه، فـ" الفقير الذي لا يسأل، و المِسكين الذي يسأل" لقوله تعالى﴿ ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة/ ٢٧٣] فوصفهم بالفقر و أخبر عنهم بالتعفف و لايحسبهم الجاهل أغنياء إلا ولهم ظاهر جميل و عليهم بزة حسنة. "[4]

أما القرطبي فدلّ كلامُهُ على أنّ المِسْكينَ ليس أحسن حالا من الفقير.[5]

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري / قرف ٩/ ١٠٢، واللسان/ فقر.

(٢) اللسان / فقر ٥/ ٦٠.

(٣) حيث قال:"السفينة كانت لأقوام محتاجين متعيّشين بها في البحر". تفسير الفخر الرازي ٢١/ ١٦١.

(٤) الفروق / ١٧٧.

(٥) وذكرالقرطبي تسعة أقوال لعلماء اللغة و أهل الفقه في الفرق بين (الفقير و المسكين) الأول:ما ذهب إليه يعقوب بن السكيت و القتبي و يونس بن حبيب أن الفقير أحسن حالا من المسكين ..وذهب إلى هذا قوم من أهل اللغة و الحديث و منهم أبو حنيفة ... وقال آخرون بالعكس وهذا هو القول الثاني..واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أمّا السّفينةُ فكانتْ لِمَساكِينَ يَعْملونَ في البَحْر ﴾ ...وعضدوه بما رُويَ عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه تعوذ من الفقر وروي عنه أنه قال:اللهمّ أحْيِني مِسْكينا و أمِتني مِسْكينا.فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لتناقض الخبران إذ يستحيل أن يتعوذ من الفقر ثم يسأل ما هو أسوأ حالا منه وقد استجاب الله دعاءه و قبضه وله مال مما أفاء الله عليه .. وللشافعي قول آخر: أن الفقير و المسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى وإن افترقا في الاسم وهو القول الثالث و إلى هذا ذهب ابن القاسم وسائر أصحاب مالك ...وردّ القرطبي على الثاني و الثالث بأن ظاهر اللفظ يدل على أن المسكين غير الفقير و أنهما صنفان إلا أن أحد الصنفين أشد حاجة من الآخر=

فالعلماء حاولوا إظهار الفرْق بوصف حال كل منهما، من يملك ومن لا يملك؟ من يتعرض بالسؤال ومن لا يتعرض؟ من يدلّ مظهره على الحاجة ومَن لايدل ؟... و جاء من اعتبارات التفريق " أن يقال: المسكين هو الذي يرقّ له الإنسان إذا تأمل حاله، وكل مَنْ يرقّ له الإنسانُ يسمّيه مسكينا ".(١)

ومما نلمحه من كلام الإمام اعتبار النقيض في بيان الفرق، عندما قال نقلا عن أكثر العلماء : " الفقير: ضدُّ الغني "، وكذا اعتبار التأصيل و تعليل التسمية في قوله: "والمسكين: مَن أسكنته الحاجَة وأذلته... "(٢)، ونكمل القول بأن الفقير " معناه المفقور الذي نزعت فقرة من ظهره فانقطع صلبه من شدة فقره " (٣)

..=ولا حجة في قول من احتج بقوله تعالى:﴿ أما السفينة فكانت لمساكين ﴾؛لأنه يحتمل أن تكون مستأجرة لهم ... قال ـ مالك ـ الفقير المحتاج المتعفف و المسكين السائل ..وهو القول الرابع .وقول خامس قال محمد بن مسلمة: الفقير الذي له المسكن و الخادم ..والمسكين الذي لامال له قال القرطبي:وهذا عكس ما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال نعم قال ألك مسكن تسكنه؟ قال نعم: قال فأنت من الأغنياء قال فإن لي خادما قال: فأنت من الملوك . ." وباقي الآراء أراها دون السابقة ولاحجة لها .تفسير القرطبي ٨/ ١٦٨ وما بعدها

(١) الفروق / ١٧٧.

(٢) يقول السمين الحلبي إن المسكين " من السكون لأن المسكين تسكن حركته"عمدة الحفاظ ٢/ ٢٠٩ سكن، و قارن بـ المحكم و المحيط الأعظم تح د/ عبد الحميد هنداوي / سكن/ ٦/ ٧٢٠ دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ٢٠٠٠.

(٣) التهذيب فقر.

وأرى أنه لا يعتد الفرق بينهما من حيث السؤال وعدمه؛ لورود الآية والحديث السابقين في وصفهما بعدم السؤال...وأن وجه الاختلاف بينهما لو كان من جهة الاحتياج، لاكتفى بذكر أقلهما حاجة لينسحب الحكم بالأولوية على أشدهما حاجة في آية الصدقات، وهذا ما يفهم من كلام الإمام أبي زهرة " أرى أنّ المِسكين أسوأ حالا من الفقير" ولم يقل أشد احتياجا؛ لأن حال المسكين يجمع مع الضعف احتياجا وهذا ما يفهم من النص الثاني..فالأصل في المسكين كما سبق (سكون) و ضعف، ثم قد يكون ذا حاجة؛قال تعالى ﴿ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ ﴾ [البلد١٦] قال فيها ابن عطية "وهذا مِمّا ينحو إلى أنّ المِسكينَ أشدّ فاقة من الفقير "[١]

والأدق القول بأنه أسْوأ حالا من الفقير؛لما سبق. ولذا "احتج الشافعي بهذه الآية على أن المسكين قد يكون بحيث يملك شيئا لأنه لو كان لفظ المسكين دليلا على أنه لا يملك شيئا ألبتة لكان تقييده بقوله ذا متربة تكريرا وهو غير جائز"[٢]. وهذا له وجاهته، لكن على قوله أنه قد يملك فما توصيفه وهو مازال ـ على وصفه ـ (مسكينا) ؟ ذلك لأن ملحظ السكون..والضعف فيه متأصل فإذا ما أضيف إليه أنه لا يملك شيئا..كان حاله أسوأ من الفقير.

ونلاحظ هنا أن المعنى الجملي عنده لا تظهر فيه الفروق الدقيقة عند انفراد أحد اللفظين، أما عند اجتماعهما فإنه يُخصّ كل واحد منهما بمعنى ينفرد به عن الآخر.

(١) المحرر الوجيز ٦/ ٤٨٦.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٣١/ ١٨٧.

الذلة /المسكنة

قال الإمام أبو زهرة: "والفرْقُ بينها ـ المَسْكنة ـ وبيْن الذلّة [1] أنّ الذلّة : هوانٌ تجيءُ أسبابُه من الخارج بأنْ يكون بفرض من قويّ، أو يكون نتيجة انهزام حربيٍّ، أمّا المسكنةُ: فهي هوانٌ ينشأ من النفس لعدم إيمانها بالحقِّ، و إتباعها للمادة، و إنّ توارثَ الذلةِ قرونا طويلة يُورثُ هذه المسكنة "[2] وسبق أنْ فسّرَ الإمامُ أبو زهرة (المسكين) بما يتلاقى مع تفسيره (المسكنة)هنا....قال العسكري: "وقد قيل الذلّة الضعف عن المقاومة ونقيضها العزة".[3]

يدسه / يدفنه

قال : " وعبّر سبحانه بـ ﴿ يَدُسُّهُۥ ﴾ [4] بدل يدفن، لأنّ الدّفن يكون للمَيِّتِ، وهذه على قيد الحياة، وهي الموءودة."[5]

وذكر ابن فارس أن (دس)"أصلٌ واحِدٌ يدلُّ على دخول الشيء تحْتَ خفاءٍ وسِرّ. يقال دسَسْتُ الشيءَ في التراب..قال الله تعالى: ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ﴾

---

(١) في قولـه تعـالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران١١٢].

(٢) زهرة التفاسير/ ١٣٦٤.

(٣) الفروق اللغوية / ٢٥١.

(٤) من قولـه تعـالى: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل٥٩].

(٥) زهرة التفاسير/ ٤٢٠٠.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . والدَّسّاسة: حيّة صَمّاء تكونُ تحْتَ التراب"[1]، و(دفن)"..يدل على استخفاء وغموض، يقال دفن الميت".[2]

وذكر القرطبي أن " يدسُّه في التراب..هو ما كانوا يفعلونه من دفن البنت حيّة.."[3]

وذكر أبو حيان أنّ " الظاهر من قوله (أم يَدُسّهُ في التراب) أنه يئِدُها، وهو دفنها حَيّة حتى تموت....وقال ابن عطية : .. يئدها، فيدفنها حيّة، فهو الدسّ في التراب..."[4].

وألَحُ في كلمة: (دس) ظلال معانٍ أخرى، ففضلا عن دلالتها على معنى الدفن و التغييب في التراب، وعلى دخول الشيءِ تحت خفاءٍ وسرٍّ، أرى فيها الرّغبة في سرعة التخلص من الشيءِ المراد إخفاؤه مع زيادة حرص على الخفاء، لأنّ الدسَّ أو الوَأدَ تغييبٌ في التراب لحَيٍّ قبلَ أنْ يُفارقَ الحياة، أمّا الدَّفنُ فتغييبٌ في التراب لمَيِّتٍ بعد التأكد من مفارقته الحياة أوّلا...، وهذه السُّرعة تدلُّ على أنّ مَن يقومُ بهذا الفعلَ لا يريدُ أنْ يراهُ أحدٌ وأنّ ما يفعله جريمة تُخالِفُ الفطرة..، وبالمقارنة بين اللفظين نجدُ: أنّ عددَ المقاطعَ الصوْتِيّة في (دَسَّ) أقلُّ مِن (دَفنَ)، واشتمال (دس) على صوتين مهْمُوسين وصوتٍ واحدٍ مجهور، أمّا (دفن) فاشْتملتْ على صوتيْن مَجْهُورَيْن وصوتٍ مهموس؛فناسب قلة الأصوات السرعة وزيادة المهموس الخفاء...

(١) المقاييس٢/ ٢٥٦.

(٢) السابق/ دفن٢/ ٢٨٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن١٠/ ١١٧ ،وقارن بـ روح المعاني١٤/ ١٦٩.

(٤) البحر المحيط ٥/ ٤٨٩.

الذنب /السيئـــة

قال الإمام أبو زهرة: " و الفرق بين الذنب و السَّيِّئة، أنّ السَّيِّئة: عِصْيانٌ فيه إساءة، و الذنب: فيه تقصير وتبطؤ عن الخير"[١].

قال أبو هلال: "والذنب يُنبيء من اسْتحقاق العِقاب عند المُتكلمين ".[٢]

قال الرّاغب: " الذّنْب في الأصل: الأخذُ بذَنَب الشيء، يقال ذَنَبْتُهُ أصبْتُ ذَنَبَهُ، و يُسْتعْمَلُ في كلِّ فعْل يُسْتَوْخَمُ عُقباهُ اعتبارا بذَنَبِ الشيءِ..".[٣]و: السيئة الفعلة القبيحة و هي ضد الحسنة."[٤]

الغفران و التكفير

قال الإمام أبو زهرة: ".. و الغفران و التكفير كلاهما سَترٌ، ولكن الأوّل يتضمّن معنى عدم العقاب، و الثاني يتضمّن ذهابَ أثر الإساءة ".[٥]

وفي الغفران قال أبوهلال : " الفرْق بين الغفران والسّتْر: أنَّ الغفرانَ أخصُّ وهو يقتضي إيجاب الثواب.والستر سترك الشئ بستر...ولا يقال لِمَنْ يُستر عليه في الدنيا إنه غفر له لأن الغفران يُنبئ عن إستحقاق الثواب... ويجوز أنْ يسترَ في الدنيا على الكافر والفاسق".[١]

---

(١) زهرة التفاسير / ١٥٥٠ في تفسير قوله تعالى:﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[آل عمران١٩٣].

(٢) الفروق اللغوية / ٢٢٩.

(٣) المفردات/ ذنب/ ١٨١.

(٤) السابق/ سوأ/ ٢٥٣.

(٥) زهرة التفاسير / ١٥٥٠.

(١) الفروق اللغوية / ٢٣٦.

سَفِهَ / جَهِلَ

قال: "وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[البقرة/ ١٣٠]، أي جهلها عن سَفَهٍ وحُمْق ورُعونة... و الفرق بين جهل النفس، وأن يكون قد سفهها، أن الجهل قد يكون عدم علم وعدم اهتداء إلى الحقّ، وألا يكون عنده أدوات العلم وطرق المعرفة، أما السفه فمعناه أن يجهل وعنده طرق المعرفة وأسبابها، و يتركها حمقا ورعونة.."(١)

قال الراغب : "السّفهُ خِفة في البدن..واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل".(٢)

وسَفِه بمعنى جَهل نقله القرطبي عن الزجاج والكسائي عن الأخفش(٣)، وفي اللسان " السَّفه و السَّفاهُ والسفاهة: خفة الحلم، و قيل: نقيض الحلم، وأصله الخفة و الحركة، وقيل: الجهل، و هو قريب بعضه من بعض ".(٤)

العفو / الصفح

قال: "و الفرق بين العفو و الصفح(٥) هو أن العفوَ : عدمُ جزاءِ السّيئةِ بمثلِها، ودفعُ السَّيئةِ بالحسنة، و الصّفح : هو مَحْوُ آثار الإساءة من النفس..".(٦)

---

(١) زهرة التفاسير / ٤١٢.

(٢) المفردات سفه/ ٢٣٤وقال ابن فارس في سفه:"أصل واحد يدل على خفة و سخافة.."المقاييس سفه٣/ ٧٩و "أصل السفه الخفة"مفاتيح الغيب٤/ ٧٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن٢/ ١٣٢.

(٤) لسان العرب / سفه.

(٥) من قوله تعالى:﴿ .. وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[النور/ ٢٢].

(٦) زهرة التفاسير/ ٥١٦٩.

والعفــو عند العسكري"يقتضي إسْقاط اللوْم و الذمّ ولا يقتضي إيجاب الثواب.."[١] أمّا الصّفح فهو "التجاوز عن الذنب من قولك صفحت الورقة إذا تجاوزتها وقيل: هو ترك مؤاخذة المذنب بالذنب و أن تبدي له صفحة جميلة."[٢]

وعندالراغب: "العفو : القصد لتناول الشيء...وعفوت عنه قصدت إزالة ذنبه..."[٣] "والصفح أبلغ من العفو ولذلك قال ـ تعالي ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [البقرة/ ١٠٩] وقد يعفو الإنسان ولا يصفح...وصفحت عنه...تجاوزت الصفحة التي أثبت فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها من قولك تصفحت الكتاب".[٤]

المختلس / السارق

قال الإمام أبو زهْرة: " وقد فرّقوا بين المختلس و السارق[٥] فقالوا: إن السارق يكون مختفيا غير معلوم للمسروق منه، أما المختلس فإنه لا يكون مُختفيا، بل يكون ظاهرا ولكن يأخذ في غفلة من صاحب المال، و الجمهور على أن الاختلاس لا يُعَدُّ من السرقة فلا تقطع فيه اليَد، و لقد خالف الجمهورَ إياسُ بنُ مُعاوية القاضي[٦] وأوْجب القطعَ على

(١) الفروق اللغوية / ٢٣٥.

(٢) السابق / ٢٣٦.

(٣) المفردات عفو/ ٣٣٩.

(٤) السابق / صفح / ٢٨٣.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة٣٨].

(٦) هو: إياس بن معاوية بن قرة المزني، ولد سنة (٤٦ هـ) قاضي البصرة، يضرب المثل بذكائه ...قال الجاحظ: إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة، كان صادق الحدس، نقابا، عجيب الفراسة،=

اعتبار أنَّ فيه نوْعا من الاسْتخفاء، وإن كان في العمل، و لم يكن في الشخص، وإن لذلك الرأي وجاهته من ناحية العمل، ومن ناحية المعنى".[1] وفي بيان أصل معنى السرقة يقول: "السرقة: أخذٌ بغير تمكينٍ من المالكِ.هذا هو أصلُ معنى السّرقة في ذاتِه وهذا القدر اتفق عليه العلماء في الجُملة، و قد اختلفَ العلماءُ من بعدِ ذلك في الشروط الواجبة للحدِّ"[2].

وقال الراغب: "السَّرقة: أخذ ما ليس له أخذهُ في خفاء وصار ذلك في الشرع لتناول الشيء من موضع مخصوص وقدر مخصوص"[3].

وفي تاج العروس : "والخَلْسُ: السَّلْبُ والأَخْذُ في نُهْزَةٍ ومخَالَّةٍ. خَلَسَهُ يَخْلِسُه خَلْساً، وخَلَسَه إِيَّاه، فهو خالِسٌ وخَلاَّسٌ... الاخْتِلاسُ، أَوْحَى مِن الخَلْسِ وأَخَصُّ قالَه اللَّيْث. وفي الصّحاح: خَلَسْتُ الشْيءَ، واختَلَسْتُه، وتَخَلَّسْتُه، إِذا اسْتَلَبْتَه. والاسْمُ منه: الخُلْسَةُ، بالضَّمِّ. وهي النُّهْزَةُ، وكذا مِنْ أَخْلَسَ النَّبَاتُ، إِذا اخْتَلَطَ رَطْبُهُ بيابِسِهِ"[4].

=ملهما وجيها عند الخلفاء. وللمدائني كتاب سماه (زكن إياس). توفي بواسط سنة ١٢٢ هـ . يراجع أخبار القضاة لأبي بكر مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ، المُلَقَّب بِـ"وَكِيع" ١/ ٣١٢،ط المكتبة التجارية، و سير أعلام انبلاء ٥/ ١٥٥، الأعلام للزركلي ٢/ ٣٣، كتاب الطبقات لأبي عمرو خليفة بن خياط/ ٣٦٤،ط الفكر.

(١٠) زهرة التفاسير/ ٢١٦٩وقدأفاض الشيخ في هذه المسألة...

(٢) السابق/ ٢١٧١.

(٣)المفردات/ سرق/ ٢٣١.

(٤) تاج العروس / خلس ١٦/ ١٧.

ومن الواضح أنّ الأخذَ فيهما يكون في خفاءٍ...إلا أنه في الاختلاس يكون بتمكين من صاحب المال لكن الأخذ يكون في غفلة منه.

الفرق باختلاف جهة الاشتقاق

المائدة / الخُوان

المائدة: الخُوَان الذي عليه الطعام، لا تكون المائدة حتى يكون عليها طعام، فإن لم يكن قيل: خِوَان، وهي فاعلة من مادَ عَبْدَهُ، إذا أطعمه وأعطاه؛ فالمائدة تَمُدُّ ما عليها أي تُعْطِي".(١)

قال ابنُ فارس: "ذهب بعض المُحَققين أنّ أصْلَ (ميد): الحركة.والمائدة : الخِوان لأنها تميدُ بما عليها، أي تحرّكه..ومادَهم: أطعمهم على المائدة.."(٢) و "الخِوان" فارسيٌّ مُعربٌ...وحكى عن ثعلب أنه قال وقد سئل: أيجوز أن يقال إن الخوان إنما سمي بذلك لأنه نتخوّن ما عليه أي نتنقص؟ فقال: ما يبعد ذلك. والصحيح أنه معرب" (٣)

(١) زهرة التفاسير/ ٢٤٠٣.

(٢) المقاييس ٥/ ٢٨٨ / ميد.

(٣) المعرب للجواليقي تح د/ ف عبد الرحيم/ ٢٧٨" وقارن بـ شفاء الغليل لشهاب الدين الخفاجي ٨٧-٨٨، والألفاظ الفارسية المعربة أدي شير/ ٥٨ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨م.

الفرق باختلاف ملحظ التسمية أوالتأصيل

السنة /الحول

قال الشيخ أبو زهرة: " وقوله تعالى: ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة/ ٢٣٣]... وفي التعبير عن السّنة بالحَول في هذا المقال، إشارة إلى معنى دقيق؛ يبين أنه في انتهاء السنتين يكون الطفل قد بلغ حد الاستغناء؛ ذلك أن كلمة (حول) تدل على التحوّل من حال إلى حال، فيكون التعبيرُ بها مُشيرا إلى تحول الطفل في مدارج نموّه من وقت ظهوره في الوجود...فهو يبتديء ضعيفا لا يستطيع أن يتناول غذاءه إلا من ثدْي أمّه...حتى إذا أتى على الحوْليْن حالت الحال و اسْتغنى تماما عن الرّضاعة...".(١)

قال الراغب : "أصلُ الحوْل تغير الشيء و انفصاله عن غيره وباعتبار التغير قيل حال الشيء..والحول السنة اعتبارا بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها، ومنه حالت السنة تحُولُ وحالت الدار تغيرت ".(٢)

ويصرح القرطبي بعلة تسمية (الحوْل) فيقول : " قوله تعالى : (حَوْلين) أي سنتين من حال الشيء إذا انقلب، فالحَوْلُ مُنقلِبٌ من الوَقتِ الأوّل إلى الثاني، و قيلَ: سُمِّي العامُ حَوْلا لاستحالة الأمور فيه في الأغلب..".(٣)

نلحظ هنا إشارة الإمام أبي زهرة إلى أنّ التعْبيرَ بـ (حوْل)، دون (السّنة)مقصودٌ؛ لإفادة معنى غير موجود في (السَّنة)...وأن تسمية السنة حولا من المجاز المرسل من باب تسمية الشيء بما يحدث فيه ويتحول من حال إلى حال..

---

(١) زهرة التفاسير / ٨٠٦.

(٢) المفردات / حول/ ١٣٧.

(٣) تفسير القرطبي ٣/ ١٦١.

الهزء / اللعب

قال الإمام أبو زهرة: " وهنا مباحث لفظية في بيانها تقريب لمعنى النص السّامي أوّل هذهِ المباحث ـ التفرقة بين الهُزء و اللعِب؛ فهُما في النصّ الكريم معطوف أحدهما على الآخر، و بمقتضى هذا العطف هما متغايران، و إن كانا ينتهيان إلى معنى واحد، و هو السُّخرية بالاستهزاء و العبث، فهُم يَسْخرون من الدّين و يسْخرون من أهله.. والهُزْء معناه: المزح في خفّة أو المزح في مَقام الجدّ؛ للسُّخرية بموْضوعهِ، و العبثِ بهِ، و قد يكونُ بالقيام بظاهر بعض الأعمال، و هو يخفي نقيضها، كما قال (ﷻ) عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة/ ١٤] وعلى هذا يكون مَعْنى الاسْتهزاء أوْ الهُزء مُشْتمِلا على معاني الاسْتخفاف و التهكم و المزح العائب و اللعِب أصْلُ معْناهُ من لعابِ الطفلِ، و يُقال عن الطفل لعَبَ، بفتح العين إذا سال لعابه و معناه ـ على العموم ـ العمل الذي لا يقصد به نفع، و لاطلب ثمرة، بل يقصد به مجرّد إزجاء الفراغ، و التسْلية.

المَعنى الجُملي للفظين: أنّهم يَسْخرون من الدِّين باتخاذه موْضع اسْتهزاء ومزح، و موضع لعبٍ و عبثٍ لا يقصدون نحوه بشيْءٍ إلا بما يقصد به اللاعب للعبتِهِ وهذا أبْعد ما تكون عليْه الاسْتهانة..."[1].

بنى الفرق هنا على الرجوع إلى أصل المعنى كما ذكر في الفرق بين اللعب و اللهو قوله في أول النص: "و إن كانا ينتهيان إلى معنى واحد" يقصد به المعنى الجملي الذي ذكره عقب ذلك ثم صرح به في آخر النص..

---

(١) زهرة التفاسير/ ٢٢٥٩.

قال الراغب في لعب: " أصل الكلمة اللعاب..وقد لعَبَ يلعَب لعابا سال لعابه، و لعِب فلانٌ، إذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا " وقال: "الهزؤ: مزحٌ في خِفية".(١)

اللهو/اللعب

قال الإمام أبو زهرة : "اللهو و اللعب(٢): هما الاشْتغال بما لا يجْدي في ذاتِه، و لكن قد يختلفون في حقيقتهما مع قربهما في المعنى، فاللعب العمل الذي لا مقصد منه إلا تزجية الفراغ و قضاء الوقت، و قد يكون عبَثا، و اللهو طلب ما يلهي عن الجدّ من الأمور من ملاذ و أهواءٍ و شهواتٍ، *و الفرق بينهما غير محدود، بل هما متقاربان يستعمل أحدهما في موضع الآخر* ".(٣)

واعتمد أبو هلال العموم و الخصوص..وعنده : " لا لهو إلا لعب، وقد يكون لعب ليس بلهو؛ لأن اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وغيره، ولا يقال لذلك لهو وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعا..، ومنه قوله تعالى : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ "(٤). وذكر الراغب أن "اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه و يهمه"(٥) وأنّ اللعب أصله "... لعَبَ يلعَب لعابا سال لعابه، و لعِب فلانٌ، إذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا"(٦)

---

(١) المفردات/ لعب/ ٤٥٠، و هزؤ/ ٥٤٢ .

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام/ ٣٢].

(٣) زهرة التفاسير / ٢٤٨٢-٢٤٨٣.

(٤) الفروق اللغوية / ٢٥٤.

(٥)المفردات/ لهى/ ٤٥٥.

(٦)السابق / لعب/ ٤٥٠.

وأرى أنه ليس كل ما يلهي غير مفيد أو ليس فيه منفعة...على الإطلاق، وإنما يكون الأمر لهوا إذا شغل عما هو أهم، لاسيما ما يشغل عما يتعلق بالدين و العبادة لذا يقول الراغب " يقال ألهاه كذا أي شغله عما هو أهم إليه قال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ و﴿رجالٌ لا تُلهيهِمْ تِجارةٌ و لابَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله﴾ [النور/ ٣٧] وليس ذلك نهيا عن التجارة وكراهية لها بل هو نهي عن التهافت فيها و الاشتغال عن الصلوات و العبادات بها ألا ترى إلى قوله: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج/ ٢٨].."[1]

(١) السابق / ٤٥٥.

الفرق من حيث السببية

الإخراج /الهجرة

قال الإمام أبو زهرة: " والله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال / ٣٠] فكان الإخراجُ سببَ الهجرةِ. ولقد جاء في التفسير الكبير للفخر الرّازي أنّ كلمة هاجروا: يُراد بها الهجرة اختيارا، و الإخراج : هو الإخراج اضطرارا [١]. و إني أقول: إن هذه التفرقة لم تكن في عصر النبي (ﷺ)، و ربما تكون من بعد ذلك، فمن الناس من يخرج من ديار الشرك أو الكفر مختارا ليكون قوة لأهل الإسلام، ومنهم من يخرج اضطهادا و إيذاءً.."[٢]

وهنا نلاحظ :

أولا: أن الفرق الذي ذكره الرازي فيه نظرعند أبي زهرة.. فهي مقبولة باعتبار زمن وغير مقبولة باعتبار زمن آخر، و هذا يشير إلى .. ثانيا: أثر التطوّر.. في الفروق الدّلالية وإن كان ما ذكره الرازي له وجاهته.ثالثا : أن الإخراج ـ عند أبي زهرة ـ سبب في الهجرة.. وأرى أن ما ذكره الإمام أبو زهرة يؤيده قوله (ﷺ)" لمكة ما أطيبك من بلد و أحبك إلي و لولا أن أهلك أخرجوني منك ما سكنت غيرك.."[٣]

---

(١) قال:" والمراد من قوله:(الذين هاجروا) [آل عمران١٩٥]: الذين اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرسول (ﷺ)، و المراد من (الذين أخرجوا من ديارهم) الذين ألجأهم الكفار إلى الخروج" مفاتيح الغيب ٩/ ١٥٦ .

(٢) زهرة التفاسير / ١٥٥٥.

(٣) سنن الترمذي محمد بن عيس (ت ٢٧٩هـ) تح / أحمد محمد شكر و آخرون ٥/ ٧٢٣ دار إحياء التراث العربي بيروت وفي مجمع الزوائد لـعلى بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ٣)/ ٢٨٣باب ما جاء في مكة و فضلها "...ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت "دار الريان للتراث القاهرة١٤٠٧هـ

الفرق من حيث اختلاف الموضوع و الباعث
المدح و الحمد و الشكر

قال الإمام أبو زهرة: "وهناك كلمات ثلاث تتلاقى معانيها في جملتها، وتختلف في دقتها، وهى كلمة (حمد)، وهى... الثناء الجميل على من يعمل أعمالا اختيارية عامة النفع، ودافعة للضرر للوجود كله بحكمة من يفعلها، والكلمة الثانية (المدح)، وهى الثناء على الصفات الذاتية، والشخصية الطيبة، فيقال: مدحت الصفات الطيبة في فلان، ولا يقال: حمدتها، إنما يقال: حمدت الله تعالى ومدحت خصالَ فلانٍ، وقيل: إنّ الحمدَ والمدْحَ مترادفان ولعلّ قائِلَ هذا القول نظر إلى معنى الثناء فيهما من غير أن ينظرَ إلى الباعثِ، فإن الباعثَ فى الحَمدِ: أعمالُ الإنعام والخير، والباعث على المدح: الشخص والذات، فيقال: مدحت الجميل في صفاته الحسنة، وخلاله الكريمة، ولا يقال حمدته، ومن العلماء مَن قال إن المدح أعمّ[1]، ومَنْ قال العكس، ونميلُ إلى التفرقة بينهما باختلاف الموضوع. و(الشكر) امتلاء النفس بالإحساس بالنعمة، واندفاع النفس إلى الطاعة والخضوع والقيام بحق المنعم ومقابلة الفضل والنعمة بالإحسان فى الطاعة والواجبات، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾ [إبراهيم/ ٧]، ويقول ابن جرير الطبرى: إن الحمدَ والشكر بمعنى واحد[2]، والحق أنهما يتلاقيان ويختلفان، فيتلاقيان فى

(١) قال أبوهلال :"وأما الفرق بين الحمد والمدح فمن وجوه: منها: أن المدح للحي ولغير الحي ...والحمد للحي فقط.ومنها: أن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، والحمد إنما يكون بعد الإحسان.ومنها: أن المدح قد يكون منهيا عنه....." الفروق اللغوية٤٨-٤٩.

(٢) قال الطبري (رحمه الله): " ... فقد تبيّن ..أن الحمد لله قد يُنطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضعَ الحمد ؛ لأن ذلك لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يُقال: " الحمد لله شكرًا " ١/ ٦٠.

معنى الإحساس بالنعمة والقيام بحقها، وما يجب بالنسبة للمنعم، ولكنهما يختلفان فى القيام بحق المنعم [1]، فالقيام بحق المنعم فى الشكر: الطاعة والعمل وجعل الجوارح كلها في طاعة الله تعالى، والخضوع المطلق لله تعالى في كل شأن من شئونه، وحال من أحواله. والقيام بحق المنعم فى الحمد: الثناء على الله تعالى ثناء مطلقا كاملا مع تذكر نعمائه، وتذكر ما يحيطه من الوجود كله، لا في ناحية من نواحي شخصه.....ومهما يكن فالألفاظ الثلاثة متقاربة في مؤداها وإن تخالفت في مدلولاتها".[2]

ومما سبق نخلص إلى أن الآراء في الحمد و المدح على النحو التالي:

أنهما مترادفان، وقد ردّ على هذا الرأي..، ومن العلماء من قال: المدح أعم، و منهم من قال بالعكس.. وقد اختار أبو زهرة الفرق بينهما من جهة اختلاف الباعث والموضوع؛ فالباعث على الحمد: أعمال الإنعام والخير، والباعث على المدح: الشخص و الذات.

---

(١) وهذا مفهوم كلام ابن قتيبة:" حمد الله: الثناء عليه بصفاته الحسنى . وشكره: الثناء عليه بنعمه و إحسانه ...وقد يوضع الحمد موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد ". غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تح / السيد أحمد صقر / ١٩ـ٢٠ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ):"الحمد أعم من الشكر "تهذيب اللغة / حمد، و أبي هلال العسكري قال:" فالحمدُ أعمّ مطلقا، لأنه يَعُمُّ النعمَة وغيرَها، وأخصُّ موْردا إذ هو باللسان فقط، والشكر بالعكس ، إذ مُتعلقه النعمة فقط، وموْردُه اللسان وغيره.

فبينهما عموم وخصوص من وجه.." الفروق اللغوية ٤٨ـ٤٩،و كذا ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٩٩، و كذا أبو حيان قال: "والحمد والشكر بمعنى واحد أو الحمد أعم والشكر ثناء على الله تعالى بأفعاله والحمد ثناء بأوصافه ثلاثة أقوال أصحها أنه أعم " البحر المحيط ١/ ١٣٠

(٢) زهرة التفاسير / ٥٥ـ٥٦.

وأما الحمد و الشكر فذكر أبو زهرة أن الإمام الطبري جعلهما بمعنى واحد.

لكنهما عند الإمام أبي زهرة يلتقيان من جهة : الإحساس بالنعمة و ما يجب للمُنعِم، و يختلفان من جهة: القيام بحق المنعم، فمع الشكر طاعة و عمل..، ومع الحمد تذكر نعمائه و الثناء عليه.

الفرق من حيث اعتبار النقيض: الدرج و الدرك

قال " يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء/ ١٤٥] ولقد قال الراغب الأصفهاني[١] في المفردات: "الدّرك كالدّرْجُ، لكنْ الدّرْج يقال اعتبارا بالصعود، و الدرك اعتبارا بالحدور ' ولهذا قيل درجات الجنة، ودرَكات الآخرة".[٢]

جاء في تفسير القرطبي عن أبي عبيدة"جهنم أدْراكٌ، أي منازل...والدَّرْك إلى أسفل و الدرج إلى أعلى"[٣] النار درَكات سَبْعَة، أيْ طبقات ومنازل، إلا أنّ اسْتعمال العرَب لكل ما تسافل أدراك، يقال للبئر أدْراكٌ، وَلِما تعالى: درج فللجنّة دَرج وللنار أدْراك"[٤] ونلمح تأصيل ذلك عند ابنِ فارس في قوله: "والدّرك: القِطعة مِن الحَبْل تُشدُّ في طرف الرِّشاء إلى عَرْقُوة الدلو...ومن ذلك الدَّرَك وهي منازل أهل النار"[٥]، وفي تاج العروس:

(١) المفردات / درك ١٦٧.

(٢) زهرة التفاسير/ ١٤٨٨.

(٣) جامع الأحكام٤/ ٢٦٣.

(٤) السابق٥/ ٤٢٥.

(٥) مقاييس اللغة ٢/ ٢٦٩درك.

"ومن المجاز: يقال: دَرِجَ الرَّجُلُ (كسَمِعَ)، إذا(صَعِدَ فِي المَرَاتِبِ) لأَنّ الدَّرَجَة بمعْنَى المَنْزِلةِ والمَرْتَبَة".[1]، أما الدَّرَكُ فجاء فيه: " دَرَكُ الرَكِيَّةِ: قَعْرها الذي أُدْرِكَ فيهِ الماءُ.... و- الدَّرَكُ اسمٌ في مقلبَةِ الدَّرَجِ بمعنَى: أَنَّ الدَّرَجَ مراتِبُ اعتباراً بالصّعُودِ والدَّرَك مَراتِبُ اعتباراً بالهُبُوطِ، ولهذا عَبَّرُوا عن مَنازِلِ الجَنَّةِ بالدَّرَجاتِ، وعن منازِلِ جَهَنَّمَ بالدَّرَكاتِ..."[2] نلاحظ هنا أن اعتبار النقيض معتد به... كلا اللفظين يدل على المرتبة والمنزلة.... وإن كان اتجاه كل منهما يقابل الآخر.

الجنف / الجنف

قال الإمام أبو زهرة: "قال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة/ ١٣٥].. حنيفا، أي مائلا للاستقامة أو مائلا نحو الحقِّ هادِيا له..و جَنفَ و حَنفَ معناهما: المَيْل، بَيْد أنّ الجَنفَ: المَيْل إلى الباطل، كما قال تعالى: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ..﴾ [المائدة/ ٣]...، و الحنيف: المائل نحو الحقّ ".[3]

وعند ابن فارس : "الجيم والنون والفاء : أصلٌ واحدٌ وهو المَيْل "[4]، بينما: " الحاء والنون والفاء: أصلٌ مستقيم، وهو المَيَل".[5]

(١) تاج العروس/ درج٥/ ٥٥٥.

(٢) السابق/ درك٢٧/ ١٤١.

(٣) زهرة التفاسير/ ٤٢١.

(٤) مقاييس اللغة / جنف.

(٥) السابق / حنف.

قال الزمخشري: " والحَنِيفُ: المائلُ عن كلِّ دينٍ باطلٍ إلى دين الحق. والحنف: الميل في القدميْن. وتحنّف إذا مال[١]. وفسَّرَ (الجنفَ) بالمَيْل عن الحَقِّ[٢]

وقال الراغب: " الحَنف : هو ميلٌ عن الضّلال إلى الاستقامة، و الجنفُ: مَيْلٌ عن الاستقامة إلى الضلال ".[٣] .

وذكر أبو حيان أن ". الحنف: لغة الميل، وبه سمي الأحنف لميل كان في إحدى قدميه عن الأخرى،....وقال الزجاج: الحنيف: المائل عما عليه العامّة إلى ما لزمه"[٤]. وفي موضع آخر ذكر أنّ الجَنفَ: الجور وقيل: الميْل.[٥]

ومن كلام الإمام أبي زهرة وكلام الأئمة يظهر اشتراك اللفظين في عموم الميل، ثم اعتبار النقيض، فرقا بينهما في المعنى.

فروق دلاليةبين الفواصل القرآنية المتشابهة الفقه والعلم

في بحثٍ سابقٍ أشرنا إلى اهتمام الإمام أبي زهرة بالفاصلة القرآنية وربطنا بين السياق وتذييل الآيات و الدلالة[٦]، و هنا نشير إلى تنبيهه إلى بعض الفروق الدلالية بين

(١) الكشاف ١/ ١٩٤.

(٢) السابق١/ ٢٢١.

(٣) المفردات / حنف ١٣٣.

(٤) البحر ١/ ٥٦٩، كذا فسر القرطبي" الحنف: الميل" . جامع الأحكام ٢/ ١٤٠و ذكرأن" الجنف: الميل"ونقل مثل ذلك عن الصحاح. السابق ٢/ ٢٦٩ .

(٥) السابق١/ ٦٧٢.

(٦) ينظر لكاتب هذا البحث: السياق و توظيفه في توجيه التفسير و الترجيح اللغوي في ضوء النظرية السياقية عند الإمام أبي زهرة في تفسير زهرة التفاسير.

الفواصل القرآنية المتشابهة والتي لم يلتفت إليها كثير من العلماء وربما وقع منهم الخلط في الدلالة وتاه عنهم توظيف الفاصلة في إبراز المعنى وتأكيده وتناغمها مع السياق الواردة فيه، لا يصلح في مقامها غيرها ..

يقول الإمام أبو زهرة : "اتجه المفسرون إلى اتجاهات في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ ﴾[1] فمنهم من نظر إلى أن.. ـ الآية ـ تتجه إلى أصل التكوين الإنساني في أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات، فقال: معنى مستقر أي مكان استقرار وهو رحم الأم، ومستودع، أي مكان الوديعة الإلهية في أصلاب الآباء،... واتجه آخرون إلى الاستقرار في الحياة، والاستيداع في النهاية إلى باطن الأرض، فالمستقر هو الدنيا والوجود في هذه الأرض، والمستودع القبر، الذي يودع فيه حتى يكون البعث والنشور، وذلك كقوله: (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ...﴾ البقرة/ ١١، والأكثرون من الصحابة والتابعين على الاتجاه الأول، وهو أوضح، و أقرب تبادرا للذهن، وإني أرى أنه لا مانع من أن تكون في الاثنين، واللفظ يحتملهما، و يكون في الأول بما يشبه العبارة وفي الثاني بما يشبه الإشارة، فالعبارة سِيقتْ لأصْل التكوين...ودلتْ بالإشارة على أنه اسْتقرار إلى أمَد، و بعده الاستيداع في القبر إلى يوم البعث...وختم الله تعالى الآية بقوله تعالى: ﴿ **قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام/ ٩٨] أي ينفذون إلى أسرار الوجود من وراء مظاهره؛ لأن فقه ليس المراد بها مجرد العلم، إنما المراد بها العلم الذي يشق المظهر ليصل إلى

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام٩٧-٩٨].

سر ما وراءه، وقد علل الزمخشري[1] أنه ختم الآية التي تدل على الاهتداء بالنجوم بقوله تعالى: ﴿... قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام/ ٩٧]، وهنا ختم بقوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ بأنَّ الاهتداءَ حِسِّيٌّ يُرى، فهو آية بيّنة محسوسة لا تحتاج إلى النظر.. وأما الثانية، فإن الآياتِ فيها سِرُّ الوجود الإنساني الذي يتدرّج فيه الحيّ من نطفة تجيءُ من الأصْلاب، وتودَعُ في الأرْحام حتى تكون بشرًا سويًّا. و ليس الفقه هو الفهم المُجرّد، إنما الفقه : هو شَقُّ الحَقائِق حتى يصل إلى لبّها وغايتِها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ..﴾ [التوبة/ ١٢٢] وبعض الكتاب قال: إن العلم أعلى درجة من الفقه؛ لأن الفقه: مطلق الفهم والعلمُ: هو المعرفة عن دليل قاطع يؤدى إلى اليقين، ونحن إلى قول الزمخشرى نميل، ونرى أنه هو الذى يتفق مع (فقِه)، ومَن غير الزمخشرى أكثر إدراكا منه؟"[2] . وفي موضع آخر فسّر الفقهَ بالإدْراك العَمِيق الذي يَنفذ إلى اللبِّ و الغاية، وليس مجرّد الفهْم و المَعْرفة، بل المعرفة النافذةُ التي تصلُ إلى اللبِّ وتستولي على القلبِ.[3]

(١) قال الزمخشري:" فإن قلت: لم قيل يَعْلَمُونَ مع ذكر النجوم ويَفْقَهُونَ مع ذكر إنشاء بنى آدم؟ قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له." الكشاف ٢/ ٥٠-٥١.

(٢) زهرة التفاسير ٢٦٠٣ ـ ٢٦٠٥.

(٣) السابق/ ٢٤٧٢، و قارن بالسابق / ٢٥٤٠.

اختلفت فاصلتا الآيتين هنا لاختلافهما في الدّلالة، مراعاة لسياق كل آية؛ فالأولى تتحدث عن النجوم والاهتداء بها.. في البَرّ والبَحْر، وكل ذلك محْسوسٌ يُرَى ويُشاهد بالبصر..فناسبه مايدلّ على مجرّد المعرفة.أما الثانية ففيها إشارة إلى سِرِّ الوجود و أصلُ التكوين الإنساني، الذي يتدرّج فيه الحيّ من نطفة تجيءُ من الأصْلاب، وتودَعُ في الأرْحام حتى تكون بشرًا سويًّا..فناسبه ما يدل على النفاذ إلى أسرار الوجود مِن وراء مظاهره، وهذا معنى تعليل الزمخشري من أن إنشاءَ الإنس من نفسٍ واحدةٍ وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطفُ وأدقُّ صنعة وتدبيراً فكان الفقهُ ـ الذي هو استعمالُ فطنةٍ وتدقيقُ نظر ـ مطابقاً.

و الإمام أبو زهرة يضيف أن التفسير الأول لكلمتي (مُسْتَقرّ ومُسْتَوْدَع) وإن كان أوضح، و أقرب مبادرةً إلى الذهن إلا أنهما تتَحَمَّلان التفسيرَ الأوّل: بالعبارة: الأصلاب و الأرحام، والثاني: بالإشارة: الدنيا و القبر.

والخلاصة هنا أن الفقه عنده : هو العلم الذي يشق المظهر ليصل إلى سر ما وراءه. و أن الفقهَ أخصُّ وأدقُّ من العلم؛لأنّ فيه إعمالَ فكر و نظر و تدبُّر، يترتب عليه استنباط.وقد استدلّ بالآية الكريمة السابقة (..لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ..)على ذلك، منزلة الإمام الزمخشري عنده وأمانته في النقل عنه... وانه لايكتفي بالنقل المجرد بل يحقق الآراء ويؤيد أو يرفض على ما يستقر عليه فكره ويطمئن إليه عقله استنادا إلى ما توافر من أدلة وحجج، و ليس أدل على إعمال فكره من إشارته هنا إلى إمكانية تحمل (مستقر) رأيين مختلفين في التفسير وكيفية الجمع بينهما.

من نقده اللغوي

الكسب / الرزق

قال الإمام أبو زهرة: "وقد خصَّ بعضُ العلماءِ الرِّزقَ بأنه خاصٌّ بالحلالِ، فإنَّهُ تعالى لا يَرْزُق إلا بالحلال، والحق أنَّ اللهَ تعالى يفيضُ على ابن آ دم بكل ما يُقيمُ به أوهُ، ويُعين به غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود/ ٦]، وابن آدم هو الذي يجعل منها الحَلالَ والحَرامَ، فإنْ كسَبه كسْبا طيِّبا لا خبْثَ فيه فهو حلالٌ، وإن كسَبَهُ من غير الحلال، أوْ أنفقه فيما حرم الله تعالى ـ فهو حرام ـ، فهو الذي أوجد فيه الحلال ـ وأوجد فيه الحرام ـ، وفى الحلال الثواب، وفى الحرام العقاب. ولقد قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[يونس/ ٥٩] والله تعالى يَعدُّ الرِّزقَ نِعمة، وإذا أنفِقَ فى الحلال وكسِبَ من الحلال كان من القرُبات التى يَتقرّبُ بها إلى الله تعالى، ولا يتقرَّب إليْه سبحانه بكسبٍ يكون طريقه ليس بحلالٍ خالصٍ"(١).

والقول بأن الرزق خاص بالحلال دون الحرام هو قول المعتزلة يقول الإمام الزمخشري: "وأمّا الحرام فلا يضاف إلى اللهّ ولا يسمى رزقاً".(٢)

(١) زهرة التفاسير/ ١٠٧-١٠٨.

(٢) الكشاف ٢/ ٤١٩.

وأرى أنه قصد بالنقد هنا الإمام الزمخشري لكن لشدة إكباره له لم يصرح باسمه في مقام النقد، فضلا عن وصفه وتعبيره بـ " بعض العلماء"[1].قال القرطبي: ".. الشيء إذا كان مأذونا له في تناوله فهو حلالٌ حكما وما كان منه غير مأذون له في تناوله فهو حرامٌ حكما وجميع ذلك رزق، وقد خرج بعض النبلاء من قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ/ ١٥] فقال: ذِكْرُ المغفرة يُشيرُ إلى أنّ الرِّزْق قد يكونُ فيه حَرامٌ."[2]

وعلى ذلك فـ "الرَّزْقُ كلُّ ما يُنتفعُ به "[3] وهو من الله (ﷻ)، والكسب يكون من جهة العبد وهو الذي يوجِّه هذا الكسب وعلى ذلك يكون الحساب..

ومن المواضع التي ـ سبق ذكرها و ـ برز فيها ناقدا الفرق بين (الحمد و الشكر).

والفرق بين(الإخراج و الهجرة).

مما يؤخذ عليه

سبق في الفصل الأول الإشارة إلى أمور عدت من ملامح منهجه كان منها تصريحه أنه لا يذكر من القراءات المختلفة إلا إذا ترتّب على اختلافها اختلاف في المعاني، غير أنه في بعْض المواضع خالف هذا المنهج، يقول مثلا: " وقوله تعالى: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ [4] فيها قراءة بالتخفيف و أخرى بالتشديد، و المعنى واحد".[5]

---

(١) يراجع العبارات التي وصف بها الزمخشري في بحث سابق لنا (السياق وتوظيفه في توجيه التفسير و الترجيح اللغوي في ضوء النظرية السياقية عند الإمام أبي زهرة في تفسير زهرة التفاسير" المقدمة.

(٢) جامع الأحكام ١/ ١٧٨.

(٣) اللسان / رزق.

(٤) من قوله تعالى ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء/ ١٠٦].

(٥) زهرة التفاسير / ٤٤٧٤.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

وبعد..

فقد جمع البحث ما يزيد على ستين موضعا ومثالا من زهرة التفاسير، جاءت مقسمةً على فصول هذا البحث، و ألقى الإمام أبو زهرة (رحمه الله) تعالى فيها الضوءعلى الفروق الدلالية بين الألفاظ الواردة..عارضا آراء الأئمة السابقين (رضي الله عنهم) موضحا رأيه مؤيدا أو ناقدا مع شرح أو تعليل يدلان على تمكن أستاذ عز وجود مثله... ورسوخ قدم إمام تحلى بأمانة علمية... (رضي الله عنه) وأرضاه.

وكان من أبرز نتائج هذا البحث النقاط الآتية:

❁ شغلت الفروق الدلاليّة جانبا مهما عند الإمام أبي زهرة...وكان مِنْ أهمّ بَوَاعث اهتمامه بها..ترتب بعض الأحكام الفقهيّة عليها . فضلا عن الدَّوْر المُهم الذي يقوم به بيان الفرق الدّلالي في خدمة التقريب لمعنى النص القرآني الكريم السامي.

❁ وضحت شخصيته اللغوية واعتزازه بإبراز رأيه في مواضع كثيرة(١)، وكانت له إضافات قيمة أوقفتنا على ثقوب فكره ونفاذ بصيرته..

❁ سبق في مقدمة البحث أنه أكثر من الأخذ عن الرّاغب و الزّمَخشري في الفروق الدلالية، ومع ذلك خالفهم في غير موضع؛ مِمّا يَدلُّ على شخصيته اللغوية المستقلة، وأنه لا يأخذ إلا ما اقتنع به من أقوال العلماء، ومن الأول مخالفته الرّاغب في الفرق بين المسكين

(١) كما جاء في الفرق بين كل من (المصدرالأصلي / و المِيميّ)، (الهلاك / التهلكة)، (وعد / واعد)، (العداوة / البغضاء)، (الحصر/ الإحصار)، (الحمد / المدح)، (كسب / اكتسب) ...

و الفقير. ومن الثاني مخالفته الزمخشري في الفرق بين كسبت واكتسبت ونقده في قصر دلالة (الرزق) على الحلال...

❁ من أهم طرق عرضه الفروق الدلالية أنه: قد يذكر كلمة الفرق صراحة، وجاء ذلك في الفرق بين (العمل و الصّنيع)، و (العفو و الصفح)، و (الذنب و السيئة)، و(المختلس و السارق). أو يقول ليس كذا مرادفا لكذا، ثم يعلل وجاء في (الخشية و الخوف)، وقد يذكر أنهما متغايران كما في (الهزء و اللعب). وقد يذكر اختلاف حقيقتيهما مع قربهما في المعنى كما جاء في: (اللهو و اللعب).أو يذكر معنىً واحدا للفظين ثم يخص أحدهما بمعنى خاص، كما جاء في: (الجنف و الحنف)، (و العمى و العمه)، وقد يذكر أن أحد اللفظين أشد أو أعلى من الآخر وجاء ذلك في الفرق بين (الرأفة و الرحمة).

❁ لا فرق في اللغة بين المعاني الخاصّة والدّلالات الدّقيقة في المعنى الجُمليّ، لكن عند الجمع بين لفظين معناهما مُتقارب فإنه.. يتحتّم إظهار الفرق الدّلالي، ويُخَصُّ كلّ واحدٍ منهما بمعْنى ينفردُ به عن الآخر، نصَّ على ذلك في الفرق بين: (الهُزء و اللعب)، (الظلم و الهضم)، (الفقراء والمساكين)..فالترادف عنده موجود، واقع ومستعمل وهذا لا يمنع من وجود فروق جزئية عند التدقيق، لاسيما في المستويات الخاصة في اللغة وأعلاها القرآن الكريم، كما جاء في (التهلكة و الهلاك) و (الحمد والمدح و الشكر).

❁ الاعتبارات التي بُنيت عليها الفروق الدلالية نبه إليها إشارة و تصريحا..فكان ربطه بين اختلاف القراءة ـ ومن صورها الاختلاف في الحركة ـ واختلاف المعنى إشارةً منه إلى اعتبار اختلاف الحركات في الفروق الدلالية، وتصريحه بانفراده ببيان الفرْقِ الدلالي بيْن نوْعيْ المصدر الأصليّ و المِيمِيّ، ودور اختلاف الصيغ الصرفية الأخرى في الفرق الدلالي،

وكذا تصريحه بالتضمين ودور الحرف المعدى به في اختلاف الدلالة، وجاءت عنه اعتبارات أخرى تصريحا في: العموم و الخصوص، اختلاف الباعث والموضوع، وبيان الأصل، والسببية أو تلميحاكما في: اختلاف الوصف و ملحظ التسمية،، وذكر النقيض.وكلها اعتبارات لها وجاهتها

❁ لوحِظ أنّ الفرْق الدّلالي بَيْن اللفظين عنده ليس على درجة واحدة، فقدْ يكون (كبيرا) كما عبّر عن الفرْق بين الوُسْع و الطاقة وقدْ يكُون (دقِيقا) كماعبّرعن الفرْق بيْن الحصْر و الإحْصار و التهلكة و الهلاك.

❁ وكانت إشارته إلى عامل الزمن ودوره المهم في اختلاف الدلالة. التطور الدلالي، وظهور الفروق الدلالية، عندما ذكر الفرق بين (الإخراج والهجرة)

❁ في بعض المواضع برزت شخصية الإمام أبي زهرة ناقدا، كما جاء في الفرق بين(الحمد و الشكر) و (الكسب و الرزق). و(الإخراج و الهجرة)

ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.. ربنا و ارضَ عن أئمة لغتنا العربية وعلمائها،

ربنا واجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا،

وصلِّ ربناوسلم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت الأمثلة الواردة في البحث مرتبة وفق موادها اللغوية

م	المادة	المثال	ص
١	أجل	الأجل	٩٢١
٢	أمن	آمن بـ / ـــ لـ	٩٠٥
٣	بغض	البغض/ البغضاء	٨٨٥
٤	تبب	تباب/ تتبيب	٨٨٧
٥	جسد	الجسد	٩١٨
٦	جسم	الجسم	٩١٨
٧	جنف	الجنف	٩٤٩
٨	جنى	الجناية	٩٢١
٩	جهل	جهل نفسه	٩٣٧
١٠	حسب	حساب/ حسبان	٨٨٨
١١	حسد	الحسد	٩٢٨
١٢	حصر	حصر/ أحصر	٨٩١
١٣	حمد	الحمد	٩٤٦
١٤	حنف	حنيفا	٩٤٩
١٥	حوط	أحاط	٩١٤
١٦	حول	الحوْل	٩٤١
١٧	حيق	حاق	٩١٤
١٨	خبر	الخبر	٩٢٣
١٩	خرج	الإخراج	٩٤٥
٢٠	خشي	الخشية	٩١٣
٢١	خلس	المختلس	٩٣٨
٢٢	خلو	خلا إلى/ ـــ بـ	٩٠٦
٢٣	خوف	الخوف	٩١٣
٢٤	خون	الخوان	٩٤٠
٢٥	درج	الدرْج	٩٤٨
٢٦	درك	الدّرْك	٩٤٨
٢٧	ذلل	الذلة	٩٣٤
٢٨	ـــ	أذلة على/ ـــ لـ	٩٠٨
٢٩	ذنب	الذنب	٩٣٦
٣٠	ذهب	أذهبه/ ذهب به	٩٠٤
٣١	رأف	الرأفة	٩٢٢
٣٢	رحم	الرحمة	٩٢٢
٣٣	رزق	الرزق	٩٥٤
٣٤	رصد	رصد/ أرصد	٨٩٣

م	المادة	المثال	ص
٣٥	رضي	رضا/ مرضاة	٨٨٣
٣٦	سخر	سُخريًا/ سِخريًا	٨٧٦
٣٧	سخط	السخط	٩٢٥
٣٨	سرع	سارع في/ ـ إلى	٩٠٩
٣٩	سرق	السارق	٩٣٨
٤٠	سفه	سفه نفسه	٩٣٧
٤١	سكن	المسكنة	٩٣٤
٤٢	ـــ	المسكين	٩٢٩
٤٣	سنو	السنة	٩٤١
٤٤	سوء	السيئة	٩٣٦
٤٥	شك	الشكّ	٩١٤
٤٦	شكر	الشكر	٩٤٦
٤٧	صبر	اصبروا/ صابروا	٨٩٨
٤٨	صدق	الصدقات لـ/ في	٨٧٤
٤٩	صفح	الصفح	٩٣٧
٥٠	صنع	يصنعون	٩١٦
٥١	ضعف	ضعّف/ ضاعف	٩٠٠
٥٢	طهر	يَطهُرْن/ يطهّرْن	٨٩٨
٥٣	طوق	الطاقة	٩٢٤
٥٤	ظلم	الظلم	٩٢٧
٥٥	عدو	العداوة	٩٢٦
٥٦	عفو	العفو	٩٣٧
٥٧	علم	العلم	٩٥٠
٥٨	عمل	يعملون	٩١٦
٥٩	عم	العمه	٩٢٨
٦٠	عمي	العمى	٩٢٨
٦١	عند	عند	٩١٦
٦٢	عوج	العوج	٨٨١
٦٣	عود	أعاد في/ ـإلى	٩١٠
٦٤	غبط	الغبطة	٩٢٩
٦٥	غضب	الغضب	٩٢٦
٦٦	غفر	الغفران	٩٣٧
٦٧	فقر	الفقير	٩٣٠
٦٨	فقه	الفقه	٩٥١
٦٩	قرح	القرح	٨٧٨
٧٠	قسط	قسط/ أقسط	٨٩٧

م	المادة	المثال	ص
٧١	كره	تاكره	٨٧٠
٧٢	كسب	الكسب	٩٥٤
٧٣	ـــ	كسب/ اكتسب	٨٩٩
٧٤	كفر	التكفير	٩٣٦
٧٥	لدن	لدن	٩١٥
٧٦	لعب	اللعب	٩٤٢
٧٧	لقي	لقوا/ لاقوا	٨٩٦
٧٨	لهو	اللهو	٩٤٣
٧٩	مدح	المدح	٩٤٦
٨٠	مرى	مرية	٩١٤
٨١	ميد	المائدة	٩٤٠
٨٢	نبأ	النبأ	٩٢٣
٨٣	نفد	الإنفاد	٩٢٤
ـــ	،،،،،،	،،،،،،،،،،،،،،	/// //

م	المادة	المثال	ص
٨٤	نفق	الإنفاق	٩٢٤
٨٥	هجر	الهجرة	٩٤٥
٨٦	هزء	الهزء	٩٤٢
٨٧	هضم	الهضم	٩٢٧
٨٨	هلك	الهلاك/ التهلكة	٨٨٩
٨٩	وسع	الوسع	٩٢٤
٩٠	وعد	وعد/ واعد	٨٩٧
٩١	وقد	الوقود	٨٨٠
٩٢	ـــ	أوقد/ استوقد	٩٠١
٩٣	ولي	الولاية	٨٨٢
	،،،،،	،،،،،،،،،،،،،،،،،،	ـــ

أهم مراجع البحث

- أدب الكاتب لـ ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تح / محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة.
- البحر المحيط تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ على محمد عوض مع آخرين، دار الكتب العلمية بيروت.
- بدائع الفوائد لـ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تح / على بن محمد العمران، ط مجمع الفقه الإسلامي جدة.
- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن لـ أبي البقاء عبدالله بن الحسن العكبري (ت٦١٦هـ) تح/ على محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية.
- الترادف في اللغة حاكم مالك لعيبي منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية١٩٨٠
- تفسيرالتحرير و التنوير لـ محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤مـ.
- التفسير الكبير و مفاتيح الغيب لـ لإمام محمد فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر (٥٤٤-٦٠٤هـ)، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- تهذيب اللغة ـ لـ أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح/ محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي- ط١بيروت - ٢٠٠١م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لـ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبوجعفر (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.
- الجامع لأحكام القران محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (ت٦٧١هـ) تح/ أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط٢، القاهرة ١٣٧٢ هـ.

• الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن القاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تح/ فخر الدين قباوة محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٣هـ.

• الخصائص لـ أبي الفتح عثمان بن جني، تح/ محمد على النجار، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

• دراسات لأسلوب القرآن الكريم تأليف محمد عبد الخالق عضيمة، دارالحديث القاهرة

• روح المعاني في تفسير القران العظيم و السبع المثاني لـ محمد الألوسي أبو الفضل (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

• زهرة التفاسير للإمام الشيخ محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربي ١٩٨٧م

• صحيح البخاري لـ محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري (ت٢٥٦هـ) تح د/ مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت١٩٨٧.

• صحيح مسلم لـ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابورى (ت ٢٦١هـ) تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

• علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م.

• علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة د/ محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، المكتبة الثقافية العدد٢٤٩، ١٩٧٠م

• علم اللغة بين القديم و الحديث د/ عبد الغفار حامدهلال، ط٢ م الجبلاوي القاهرة.

• عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لـ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تح محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٦م

• فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير لـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر بيروت.

• الفروق اللغوية للإمام الديب اللغوي لـ أبي هلال العسكري أحد أعلام القرن الرابع الهجري تح/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم و الثقافة للنشر القاهرة

• فعلت و أفعلت لأبي إسحاق الزجاج تح د/ رمضان عبد التواب و د/ صبيح التميمي مكتبة الثقافة الدينية.

• في اللهجات العربية د / إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية.

• الكتاب كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تح / عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٢هـ.

• كتاب الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بـ ابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥هـ) ط دار المعارف العثمانية١٣٦٠هـ.

• كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لـ أدي شير المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨م

• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشرى(ت٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.

• الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ) تح/ الإمام أبي محمد بن عاشور ط١ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ.

• معاني الأبنية في العربية د/ فاضل صالح السامرائي، دارعمار بغداد٢٠٠٧م

• معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) تح / عبد السلام هارون دار الجيل بيروت ١٤١١هـ١٩٩١م.

• المعرب للجواليقي تح د/ ف عبد الرحيم، دار القلم دمشق ١٩٩٠م.

• المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) تح/ محمد سيد كيلاني، دارالمعرفة بيروت.

• النشر في القراءات العشر تأليف أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) تصحيح الأستاذ / محمد علي الضباع دار الفكر

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٨٦٣
الفصل الأول: الترادف و الفروق عند أبي زهرة	٨٦٦
الفصل الثاني: اختلاف دلالة اللفظين لاختلافهما في صوت صائت	٨٧٦
الفصل الثالث: اختلافُ دلالة اللفظين لاختلاف دلالة الصِّيغة الصَّرْفيّة	٨٨٣
الفصل الرابع: المستوى التركيبي	٩٠٢
الفصل الخامس: المستوى الدلالي	٩١٣
الخاتمة و أهم نتائج البحث	٩٥٦
ثبت الأمثلة الواردة في البحث مرتبة وفق موادها اللغوية	٩٥٩
أهم المصادر والمراجع	٩٦٢
فهرس الموضوعات	٩٦٦